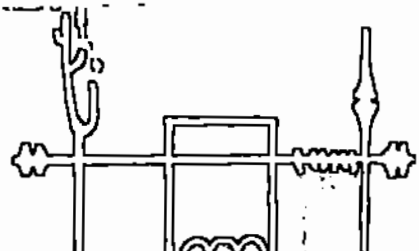

أهمية أن يكون الإنسان جاداً

أوسكار ويلد

عصره ـ أساتذته ـ فنه ـ انتاجه المسرحي

حتى مسرحيته :

أهمية أن يكون الانسان ارنست

كان أوسكار ويلد نغمة « نشازا » فى العصر الذى وجد فيه ؛ وحسبنا أن نذكر أنه وجد فى العصر الفكتورى لندرك مدى التفاوت الشديد بين الانطلاق الذى لا يعرف الحدود والقيود والسدود ، وبين الجمود الشديد الذى كان يحنى ظهره ذليلا خاضعا لجميع الحدود والقيود والسدود . لقد كان العصر الفكتورى فى تاريخ انجلترا فترة طويلة امتدت من سنة ١٨٣٠ حتى آخر القرن التاسع عشر . وفى السنة الأخيرة من هذا القرن بالذات : أى سنة ١٩٠٠ .. وهى الفترة التى فرضت فيها الملكة فكتوريا شخصيتها وآدابها وتقاليدها على البلاد البريطانية .. وكانت هذه الشخصية وتلك الآداب والتقاليد تتمثل بكل جمودها وقسوتها فى تلك الشخصية الرمزية الخرافية التى أطلق عليها علماء المجتمع : « مسز جراندى » تلك السيدة التى كانت لا تنفك تمسك بعصاها تشوى بها ظهور من يخرجون على العرف الفكتورى والتقاليد الجامدة الفكتورية ،

وآداب المجتمع العتيق الذى طبعته الملكة فكتوريا بطابعهـــا الجدى المحتشم ، الطابع الذى يؤثر مظاهر التأنق والتمســك بأهداب اللياقة فى كل شىء .

كان أوسكار ويلد نغمـــة « نشــازا » فى ذلك العصر الفكتورى المتحذلق ، كما كان لوردبيرون (١٧٨٨ — ١٨٢٤) وپرسى بيش شللى (١٧٩٢ — ١٨٢٢) نغمتــين ناشزتين فى الأيام التى سبقت العصر الفكتورى تماما .. كانا نغمتين ناشزتين لأعمال النشوز والشذوذ التى كانا يقدمان عليها ويغيظان بهـا المجتمع ، ويثوران بها على العرف ، ويضربان فيهـــا بآداب الليــاقة عرض الأفق ... ولعل الذى يتأمل فى تاريخ أوسكار ويلد يدرك أنه امتداد لحياة هذين الشاعرين وما كانا يقارفانه من ألوان النشوز والشذوذ .

لقد كان العصر الفكتورى عصر تحول كبير فى كل شىء .. تحول من الزراعة التى كان عليها جل اعتماد الشعب الانجليزى فى أمور معائشه ، الى الصناعة التى أصبح الشعب الانجليزى يتقدم فى ميدانها على جميع شعوب العالم ، ويستولى بها على أسواق الدنيا كلها ، ويثير من أجلها الحروب كلمـــا نافســه فى ميدانهـــا منافس . وبالرغم من الاشراق العلمى والفلســفى

والاقتصادى والمسرحى والاجتماعى الذى بدأه كل من دارون (١٨٠٩ — ١٨٨٢) وهربرت سپنسر (١٨٢٠ — ١٩٠٣) وكارل ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣) وابسن (١٨٢٨ — ١٩٠٦) على التتابع ، فقد كان الأدب الانجليزى فى ذلك العصر الڤكتورى يتسم بسيسم الصنعة ، ويؤثر الشكل على المضمون ، ويفضل أناقة الألفاظ والأساليب المصقولة على الرسالة العامة التى يجب أن يحملها الأدب الموضوعى الى أعماق قرائه ... ولعل الذين يقرءون بقراءة المؤرخ ماكولى (١٨٠٠ — ١٨٥٩) أو القصاصين سكوت (١٧٧١ — ١٨٣٢) وثاكرى (١٨١١ — ١٨٦٣) وبقية كتاب وشعراء العصر الڤكتورى لا يقرءون بقراءتهم الا لما يمتيزون به من الأناقة فى التعبير وما يعرف عنهم من طلاوة الأسلوب وتخير العبارات والألفاظ .

لقد كان التيار العلمى الذى هز التفكير العالمى فيما بعد ، والذى أحدثته نظرية التطور ونشوء الأنواع التى خرج بها دارون على الناس لا يزال تيارا ضعيفا لم يتسرب الى الأدب ؛ وكذلك كان تفكير هربرت سپنسر العلمى البحث الذى لم يكن يؤمن الا بالعلم وحده ، ولا يؤثر على المادة الملموسة المحسوسة شيئا ... وهكذا كانت أفكار كارل ماركس فى دنيا الاقتصاد لا تزال بمعزل عن عالم الأدب ، بل كانت انتفاضة الشاعر

سوينبرن (١٨٣٧ — ١٩٠٩) على العقائد الدينية تثير رجال الأدب الڤكتورى وتقيمهم وتقعدهم لا لشيء ولغير سبب من الأسباب الا لأن الذى يجهر بها أديب وشاعر ، وان كان جهره بها أقل شأنا مما جهر به بيرون وشللى من قبل .

فى هذا الجو الڤكتورى ولد أوسكار ويلد (١٨٥٦—١٩٠٠) الذى قضى حياته [١] كلها فى حمأة أغرب العصور الانجليزية كلها وأشدها تزمتا ووقارا مصطنعا .. وقد ولد من أبوين متحررين تقدميين .. أحدهما طبيب عرف باستهتاره بالتقاليد الڤكتورية . وولوعه بالحياة الحسية التى تنشد الاستمتاع بلذائذ الحياة وغشيان أندية الطبقة الراقية من المجتمع الايرلندى ... والأخرى أم أديبة كاتبة ثائرة أسهمت بنصيب ضخم فى الثورة الأيرلندية المطالبة بالحرية والانفصال عن انجلترا ... وقد ورث أوسكار جميع سجايا أبويه .. ثم زاد على هذه السجايا وضاعفها ... زاد على استهتار أبيه وعلى ميوله البوهيمية .. وعلى حماسة والدته وهيامها بالمظهر الأنيق والزينة المبهرجة .

والتحق أوسكار بجامعة دبلن وبرز فى الآداب اليونانية

(١) يجمل بالقارىء الرجوع الى العدد الرابع من مجموعة روائع المسرح العالمى للوقوف على الترجمة المفصلة لحياة الكاتب وهى بقلم الصديق : عبد الرحمن صدقى .

واللاتينية بها ، ثم التحق بجامعة أوكسفورد ، واشتهر بين طلبتها بأناقته الشاذة وملابسه الغريبة التى تلفت الأنظار وتدعو الى القيل والقال . كما اشتهر بمقدرته على الكتابة ونظم الشعر ، وقد نال عددا من الجوائز التى دلت على نضج أدبى مبكر

على أن هذه المراحل التعليمية كلهـا لم تكن من الأثر فى أوسكار ويلد بالقدر الذى أثرت فيه قراءاته الخاصة لأساتذته الحقيقيين من قادة الثورة على جمود العصر الفكتورى .. وفى مقدمة هؤلاء الكاتب الناقد القصاص الانجليزى المشهور وولتر هوريشيو پاتر W. H. Pater (١٨٣٩ — ١٨٩٤)الـذى اشتهر فى دنيا الأدب والفن بحضه للفنانين والأدباء على التمسك بالمثل الأعلى للجمال ، والحرص كل الحرص على روعة الصورة، والذى كان نثره يتميز باللوذعية وجودة الصقـــل ، ويفيض بالفكاهة والرشاقة . ومن أشهر مؤلفاته كتابه « دراســات فى تاريخ عصر النهضة » ثم قصته التى تأثر بها ويلد غاية التأثر : « ماريوس الأبيقورى » وله كتاب ضمنه دراسات جيدة لطائفة من مشـــاهير الكتاب منهم شكسپير ووردسورث وجوته . وكتاباه « أفلاطون والأفلاطونية » و « دراسات اغريقية » من الكتب التى تحمس فيها للحضارة اليونانية تحمسا شديدا ، مما كان له أثره العميق فى اتجاه ويلد اتجاها يونانيا حتى فى نواحى

النقص اليونانى وشغف اليونانيين بجمال الأجسام ، ولا سيما عشق الذكور لهذا السبب ، ممـا ورثه عنهم العرب فى العصر العباسى حينما جهر شعراؤهم وعلى رأسهم النواسى الكبـير بعيون شعرهم فى التشبيب بالغلمان المرد ، ومما كان فيه القضاء على ويلد فى أخريات حياته ، مما سوف نشير اليه اشارة خاطفة فيما بعد . وقد انقسم پاتر الى جماعة أنصـار رجوع الفن الى ما قبل رفائيل التى سنورد فيما بعد قليل كلمة موجزة عنها ... كما كان من محبذى الرأى القائل بأن يكون الفن من أجل الفن فحسب وليس من أجل أغراض أخرى . وقد قضى معظم حياته فى شبه عزلة علمية بجامعة أوكسفورد ، وهنـا توطدت أواصر الصداقة بينه وبين ويلد الذى افتتن بآرائه افتتانا . وموضوع پاتر الذى كتبـه عن لوحة مونا ليزا للفنـان الأكبر ليوناردو دافنشى هو من الموضوعات التى لا يزال يقدسـها جميع من يكتبون عن الفن ولا ينفكون يقتبسون الكثير من فقراتها .

أما أستاذ ويلد المباشر الثانى فهو العلامة السير جون پنتلاند ماهافى Sir. J. P. Mahaffy (١٨٣٩ — ١٩١٩) أسـتاذ التاريخ القديم بجامعة دبلن ، ومؤلف طائفة من الكتب الثمينة عن الآداب اليونانية والحياة عند اليونانيين القدماء ، ومن ذوى الأفكار المتحررة التى كان لها قيمتها فى حركة الدفع الثورى فى

أيرلنده ... وقد قوى فى تلميذه ويلد ميوله الأثينية فى عبادة الجمال الحسى والتحلل من التقاليد والقيم العقيمة التى لا يرضى عنها العقل .

ومن أساتذته أيضا المصور والناقد والكاتب الأسلوبى الثائر چون رسكن J. Ruskin (١٨١٩ — ١٩٠٠) ، وأحد أعضاء جماعة أنصار الرجوع بالفن الى ما قبل رفائيل ، والثائر على مقاييس العصر الڤكتورى المادية ومعاييره الأخلاقية، والمعروف بميوله نحو فنون العصور الوسطى ، والمشهور بأسلوبه المنمق المتين ومؤلف : المصورون المحدثون Modern Painters ؛ ومصابيح العمارة السبعة وأحجار البندقية الذى ينتصر فيه لفن المعمار القوطى ويهاجم فيه فن معمار عصر النهضة الذى كان يسمه بأنه « طاعون الفن » .. وله كتب كثيرة أخرى كان يحاول فيها ماكان يحاوله وليم موريس من تهذيب الذوق الڤكتورى فى نظرته الى الفنون . وقد تأثر ويلد بما كان رسكن يلقيه فى جامعة أوكسفورد بين الفينة والفينة من محاضرات عن الفنون المختلفة ، يدعو فيها جميعا الى ما كانت الجماعة المذكورة تدعو اليه من وجوب الرجوع بالفن الى الطبيعة ، والتحلل من القواعد الأكاديمية والمقاييس التى تشل أذواق الفنانين .

وممن تأثر بهم ويلد صديقه وأستاذه المصـــور الأمريكى جيمس أبوت ماكنيل وسلر J. A. M. Whistler ، الذى هاجر الى لندن واستقر بها وراح يحدث فيها دويا شـديدا حـول مشكلة الفن من أجل الفن ... وكان وسلر فنانا أصيلا خصيما مغرما بالجدل ولا يمل من الكلام .. وصورته عن والدته من أشهر الصور العالمية وله كتـاب طريف اسـمه : الفن اللطيف لطريقة اكتساب الخصوم The Gentle Art of Making Enemies كان من الكتب التى لها أعمق الأثر فى أوسكار ويلد .

أما أحب الشعراء الى ويلد وأشدهم أثرا فى أدبه وأسلوبه فهم مارلو وملتن وكيتس وتيســـون وروستى Rossetti ووليم موريس Morris وسوينبرن وبروننج . وقد أخذ عن سوينبرن تحـرره الدينى وعن موريس (١٨٣٤ — ١٨٩٦) تحمسه لدعاة الرجوع بالفن الى ما قبل رفائيل ثم عنايته بصقل أسـلوبه فى النثر وفى الشعر على السـواء ، وغرامه بفنون اليونانيين القدامى وفتنته بأسـاطير أهل الشمال ... وقد كان موريس من أصحاب الأمزجة الفنية التى كان لها أكبر الأثر فى الارتقاء بأذواق الطبقة الوسطى من أهـل العصر الفكتورى واحداث الثورة فى طرز مفروشاتهم وملابسهم ... هذا فضـلا عن مجهوده الكبير فى تأسيس الحركة الاشتراكية فى انجلترا .

على أن لويلد أساتذة آخرين من غير الانجليز والأيرلنديين ... وأساتذة من الفرنسيين لا حصر لهم ، وان يكن على رأسهم جميعا أستاذ الفكاهة الغامرة وصاحب الأسلوب الساخر اللاذع ، وهجاء العصور الوسطى كلها : فرنسوارابليه François Rabelais (١٤٩٤ — ١٥٥٣) ... والذى لا يمكن أن نعرف أوسكار ويلد على حقيقته ما لم نعرف أنه يكاد يكون نسخة من هذا الكاتب الفرنسى الخالد فى ظرف مفارقاته وجوامع كلماته المحكمات ، وبديع كناياته وتورياته اللطيفة التى تجعل لحواره ، سواء كان حوارا فى القصة أو فى المسرحية ، سحرا وجاذبية لا تشبع النفس منهما ... ان ويلد هو بلا شك تلميذ رابليه فى هذا كله .. وعلى من يريد أن يلمس هذا بنفسه أن يقرأ قصتى رابليه : جارجانتوا وپانتاجريل [1] ، ثم قصة صورة دوريان جراى لويلد ليدرك أن روح التلميذ هى بلا شك من روح الأستاذ ، وأن سخرية ويلد وهمزاته ولمزاته هما من همزات رابليه ولمزاته لمعاصريه من الساسة ورجال الدين والمتحذلقين وأدعياء العظمة وأقطاب المجتمع ودجاجلة الطب ، مما نجد أثره فى كثيرين ممن تأثروا برابليه ومن تتلمذ عليهم

(١) فى كتابنا المترجم عمالقة أدب الغرب حديث شائق عن رابليه وعن قصتيه فليرجع اليهما من يشاء .

ويلد أيضا وفى مقدمتهم موتتينى وموليير وپسكال وچوناثان سوفت (١٦٦٧ — ١٧٤٥) ولورانس ستيرن (١٧١٣—١٧٦٨) وتوماس أموري Th. Amory وغيرهم من أقطاب الفكاهة والأسلوب التهكمى الساخر .

وفى لندن تعرف ويلد الى زعيم المسرح الانجليزى فى أواخر القرن التاسع عشر السير هنرى ارڤنج (١٨٣٨ — ١٩٠٥) وأعظم من كان يمثل أبطال شيكسپير . وقد أفاد ويلد من هذه الصداقة فائدة عظيمة ، ولا سيما بعد أن قدمه ارڤنج الى سيدة المسرح الانجليزى فى ذلك العصر ، الممثلة الخالدة الن ترى Ellen Terry (١٨٤٧ — ١٩٢٨) والدة الممثل والمخرج المثالى الكبير جوردون كريج ومؤلف كتاب «فى الفن المسرحى» وقد كانت المسرحيات التى شهد فيها تمثيل ارڤنج وترى وكريج مما أوحى اليه بالكثير من شخصيات مسرحياته .

نظرية الفن من أجل الفن

لعل أول من ألقى بذرة هذه النظرية فى حديقة الأدب الحديث هو الشاعر والناقد وكاتب الأقاصيص الأمريكى ادجار ألان پو E.A. Poe (١٨٠٩ — ١٨٤٩) ، والذى كان يكتب فصوله فى النقد بوحى من آراء أستاذه الشاعر والناقد

الانجليزى صامويل تايلر كولردج S.T. Coleridge (١٧٧٢ — ١٨٣٤) ، وذلك حيث قال پو مرة فى معرض الكلام عن القصيدة الشعرية : «اننا لا نجد ، بل لا يمكن مطلقا أن نجد عملا من أعمال الأدب يستحق التمجيد والتخليد أكثر من القصيدة التى هى قصيدة بالمعنى الصحيح وليست شيئا آخر غير القصيدة ... الشعر الذى ينظمه الشاعر من أجل الشعر فحسب ، وليس من أجل أى شىء آخر »

. والمبدأ الذى يمثله هذا الكلام ، والذى يتلخص فى وجوب أن يكون هدف الفن هو الخلق والابداع وكمال التعبير الفنى قبل أن يكون هذا الهدف هو أن يخدم غاية أخلاقية أو غرضا تعليميا أو مقصدا سياسيا أو اجتماعيا ... نقول ان المبدأ الذى يمثله هذا الكلام كان مبدأ نشأ وترعرع فى ظلال الفترة الرومنسية ، وقد أشار اليه اشارة مجملة الناقد والشاعر كولردج ، ثم أعطاه صيغته المذكورة آنفا ادجار ألان پو ، ثم ازدهر وآتى أكله فى رعاية الشعراء الرمزيين الفرنسيين ، وقرينهم وولتر پاتر الذى تحدثنا عنه آنفا — وأكبر أساتذة ويلد المباشرين — ثم وصل الى غايته بظهور المذهب السريالى والنظرية الجمالية التى استحدثها الأستاذ ايفور آرمسترونج رتشردس I.A. Richards (١٨٩٣ — ٠) الناقد الأدبى

والعالم النفسانى الانجليزى وصاحب هذه النظرية الجمالية والذى قام بتجارب كثيرة لشرح مفهوم الجمال وفعله فى النفس ولا سيما فيما يتصل بعلم تطور معانى الكلمات : Semantics ولقد ظلت هذه النظرية هى النظرية السائدة فى جميع فروع الفن وبخاصة فى دنيا الشعر حتى سنة ١٩٣٠ حينما أنذرت الحركتان الماركسية والبروليتارية فى ميدان الأدب باحياء النظريات التعليمية والارشادية التى كانت سائدة فى القرن الثامن عشر . وقد أخذت هذه النظريات كلها تضعف وتذهب ريحها بعد نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ .

ولم يكد أوسكار ويلد يصل أسبابه بأسباب أستاذه پاتر حتى عم مذهبه فى وجوب أن يخلص الفن للفن نفسه ، وقد زاده ايمانا بهذا المبدأ الأساتذة والأدباء والشعراء الذين سردنا أسماءهم هنا لتلمذته عليهم وادمانه قراءتهم ؛ ولأنهم كانوا ينطوون على أحاسيس جمالية مثل أحاسيسه ... أحاسيس كانت تغمر تلك الفئة من الفنانين والشعراء الذين أشرنا اليهم من قبل والذين كانوا يطلقون على أنفسهم هذا الاسم الغريب : The Pre-Raphaelite Brotherhood أو جماعة الرجوع بالفن الى ما قبل عصر رفائيل ، وهى الجماعة التى تكونت فى لندن سنة ١٨٤٨ برئاسة دانتى جبريل روستى

D.G. Rossetti (١٨٢٨ — ١٨٨٢) الشـــاعر والمصـــور الانجليزى ، والايطالى المولد ، وكان يشتهر بصوره الصـــافية ورقائق قصائده الغنائية الخصبة التى كان يملؤها بالتفصيلات الوصفية الدقيقة ، ويغرقها فى جو صوفى غامض وخيـــال غامر عجيب ... تماما كما كان يفعل بتصاويره . وقد كانت هـــذه الجماعة تتألف أصلا من عدد كبير من قادة الفكر والفنـــانين الذين يدعون الى وجوب دراسة الطبيعة دراسة أعمق وأشمل وأوفى ، سواء فى أعمالهم الأدبية أو الفنية ، ممـــا كان يفعـــل الأكاديميون ومن يربطون أنفسهم بالقواعد الجامدة والأقيسة التقليدية التعسفية .. ثم هم كانوا يدعون الى توجيه العنـــاية الى الطرق الايطالية التى كانت سائدة فى دنيا التصوير والفنون قاطبة قبل وجود رفائيل ، والى روح هـــذا العهـــد . وقد كان چون رسكن يظاهر هذه الجماعة ويناصر دعوتها ، كمـــا كان يناصرها كثيرون ممن أوردنا أسماءهم وألمنا ببعض أعمالهم فى هذه العجالة الخاطفة . على أن عددا كبيرا جدا من النقـــاد راح يهاجمها ويناصبها العداء ويسخر بدعوتها ويتخـــذ من بعض زعمائها مادة للتهكم ، ولا سيما من أوسكار ويلد نفســـه ... ذلك الكاتب الجرىء المستهتر الذى حمل عباء معركة الفن من أجل الفن كلها على كاهله .

وكانت الجماعة تدعو فى عالم الشعر الى العودة الى أغانى العصور الوسطى القصصية الاستطرادية ، والى اللاطبيعيـــة أو الـ Supernaturalism ، وبالاحـــرى الى الاعتقـــاد بأن نظام الوجود صادر مما فوق الطبيعة حيث يأتى الوحى والالهام من مصادر غير مادية ، وهو الاعتقاد الذى كان يدين به ادجار ألان پو ... ثم تتناقض الجماعة فتدين بمادية الشاعر الانجليزى الشاب جون كيتس (١٧٩٥ — ١٨٢١) وتخيـلاته الحسية . وقد أصدرت مجلة صغيرة أطلقوا عليهـــا اسم « الجرثومة The Germ » كانت مـــن الصـــحف « التجريبيـــة » أو « الطليعية » فى عالم الصحافة ، وكانت تنشر غررا من الشعر لأعضاء الجماعة ولشعراء ممن كانوا يعطفون على الحركة وان لم يلقوا بكل ثقلهم فيها ... ومن الأقلام التى جرت فيها الشاعرة كرستينا روستى (١٨٣٠ — ١٨٩٤) أخت رئيس الجمـاعة والعضو بها ، والشاعر وليم موريس والشاعر كوفنترى پاتمور (١٨٢٣ — ١٨٩٦) والشاعر ا . تشارلس سوينبرن . وممـا لا شك فيه أن أدب هذه الجماعة وآراءها فى الفن قد أثرت فى دنيا الفنون كلها فى تلك الفترة من الزمان ، وان ممن تأثروا بها الى درجـة ما الشـــاعر الفـرنسى مالارميـه Mallarmé (١٨٤٢ — ١٨٩٨) زعيم المدرســـة الرمزية التى ظهرت فى

الوجود على أنقاض المدرسة البرناسية التى كان يتزعمها فى أواخر القرن التاسع عشر الشاعر شارل دى ليل ، والتى ظهرت لتعارض عاطفية الرومنسية وموضوعيتها المتزايدة ، ومن ثم كانت تنشد « سكينة الأولمب » من حيث دقة الصياغة الأدبية والعناية التى تشبه « الحذلقة » فى مراعاة الأحكام والقوانين . والبرناس جبل قرب دلف ذو قمتين احداهما مكرسة باسم أبوللو وعرائس الفنون والأخرى باسم باخوس .

ولا بد هنا من الاشارة الى « مدرسة الشعر الشهوانية The Fleshly School of Poetry » التى تفرعت عن جماعة الرجوع بالفن الى ما قبل رفائيل ، والتى هاجمها الكاتب والشاعر روبرت وليم بتشانان (١٨٤١ — ١٩٠١) بامضاء « توماس ميتلاند » فى كثير من الصحف وراح يوضح خطرها على الاخلاق وعلى الأدب وعلى الفن حتى تم الصلح بينه وبين رئيسها روستى ومعظم أعضائها فيما بعد .

والعجيب أن أوسكار ويلد تحمس لهذه الجماعة ونظم مجموعة من القصائد التى تحمل كل سماتها ثم نشرها سنة ١٨٨١ ، ولم تكن المجموعة الا أصداء متهافتة من الشعراء الذين تأثر بهم ويلد ، ولكن روحها المكشوفة وما فيها من تبذل جعل عامة القراء يفضلونها على أشعار أساتذة ويلد أنفسهم .. وقد

كان ويلد فى هذه الفترة يعانى ضيقا ماليا خانقا وظمأ فى الوقت نفسه الى الأناقة التى تكلف صاحبها مالا كثيرا ولا بد .. وكان مما لا بد منه أن يزداد المبيع من المجموعة ، وكان اسم ويلد قد أصبح مضغة لريشة رسامى الكاريكاتير فى كبريات الصحف ، ولأقلام العابثين من دجاجلة الصحافة الرخيصة والمتطفلين على رحابها الذى يرحب دائما بالنهاشين والوالغين ... والعجيب أن ويلد لم يحفل بهذا كله .. بل راح يشجع عليه ويغرى هؤلاء به بظهوره فى بنطلونه القصير وجواربه الحريرية وقميصه الغريب وزهرته المفضلة النابتة فى عروة چاكتته القطيفية ، ثم شعره المنسدل الذى يباهى أحلى شعور العذارى ، ثم قبعته التى كان يسيل لها لعاب الفاتنات ، وراح يضرب فى شوارع لندن ويغشى المنتديات متحدثا الى الصفوة والى الرعاع أيضا عن الجماعات الفنية المذكورة وعن وجوب تقديس الفن وقصره على الفن نفسه ... ولم يقف بجرأته عند حد ، بل جعل يدعو الى الالتذاذات الحسيةو « عيش الحياة كما يجب أن تعاش ! » وتنزيه الفن عن الاشتغال بمشاكل العيش وتعبيده لقضايا المجتمع ! وهكذا استطاع ترويج ديوانه حتى نفقت سوقه ونفدت نسخه .

ونحن لا نستطيع المرور بقضية الفن من أجل الفن هذا

المرور السطحى السريع دون أن نثبت — فى غير تحيز — ماكان يتذرع به أنصار تلك القضية من حجج وما كانوا يدلون به من معاذير اذا أنعمنا فيها النظر قليلا رأينا للقوم حجتهم القوية ، ولا سيما فى دنيا المسرح .. ورأينا أنهم كانوا على حق الى حد ما فيما ذهبوا اليه من ذلك كله .. ولا سيما أيضا هذا النفر من كتاب المسرح الايرلندى فى أواخر القرن التاسع عشر ، وعلى رأس هذا النفر ليدى جريجورى (١٨٥٢ — ١٩٣٢) ووليم ييتس (١٨٦٥ — ١٩٣٩) وچون ملنجتون سينج (١٨٧١ — ١٩٠٩) ... أولئك الذين ضاقوا بالمذهب الواقعى وبفرعه المذهب الطبيعى فى دنيا المسرح ، كما ضاق الرمزيون والبرناسيون بالمذهب العاطفى — أو الرومنسى — الذى كان يعنى شعراؤه وكتابه وفنانوه بالناحية الموضوعية كما كان يعنى بها الواقعيون وكتاب مسرحية المشكلة ومسرحية الأفكار وغيرهما من المسرحيات التى تقوم على الجدل وكد الذهن بعرض الأسباب والمسببات .

لقد ذهب هؤلاء الكتاب الأيرلنديون الى أن الأدب الواقعى كله ، والمسرحية الواقعية بالذات بكل أنواعها ، أدب معرض لأن يفقد قيمته بمرور الزمن ، ولا سيما اذا كان يعالج مشكلة من مشكلات المجتمع يريد الكاتب أن يخلص مجتمعه

من آفاتها بما يشنه عليها من حربه الفكرية ... ونحن لا نجادل فى أن معظم مسرحيات المشكلة مسرحيات موقوتة الأهمية بمقدار ما تستمر هذه المشكلة ، وبمقدار ما تظل المشكلة قائمة ، فاذا عالجها المجتمع وتغلب عليها وأصبحت شيئا كان ولم يعد كائنا ، أصبحت المسرحية التى كانت تعالجها مسرحية غير ذات موضوع ولا جدوى من عرضها .. بل ولا جدوى من مجرد قراءتها الا لأغراض تاريخية أو أكاديمية . وهذا بالضبط هو ما يقال عن مسرحيات الأفكار ، ولا سيما اذا كانت أفكارا تدور حول أمور موقوتة بزمان معين ومكان معين وأقوام معينين ... فالملاحظ أن مسرحية الأفكار ان لم تكن تحمل طابعا عالميا شاملا يجعلها تصلح للعرض وللقراءة أيضا فى كل زمان ومكان تكون معرضة لأن تصبح غير ذات موضوع كمسرحية المشكلة والمسرحية الواقعية الموضوعية تماما .. ومن هنا فكر أولئك الكتاب الأيرلنديون — ولعلهم تأثروا فى ذلك بمبدأ الفن من أجل الفن — فى كتابة مسرحيات يمكن أن يكتب لها البقاء مهما تطاول عليها الزمن ، ومهما كان المكان أو القوم الذين تقدم اليهم المسرحية ... ولعل هذا أيضا هو الذى جعلهم يختارون المسرحية الصوفية بنوعيها — الصوفية المؤمنة والصوفية الملحدة — ميدانا لنشاطهم الجديد ، وذلك كما اختار

اخوانهم جماعة الفن من أجل الفن ، أو جماعة الرجوع بالشعر وسائر الفنون الى ما قبل ظهور رفائيل ، ثم من تأثروا بهم من الرمزيين والپرناسيين ... بل لعل هذا هو ما نبه كتاب المسرحية الواقعية ومسرحية المشكلة والمسرحية الذهنية أو مسرحية الأفكار الى تلافى الخطر الذى نبههم اليه هؤلاء الثائرون ... خطر أن تصبح مسرحياتهم غير ذات موضوع ما دام المجتمع قد عالج المشكلة أو الفكرة وتلافاها .. فراحوا يجربون المذاهب الكثيرة المتعددة حتى انتهوا الى المذهب التعبيرى ، ومن ثمة ظهرت المسرحية التعبيرية التى يتغلغل فيها الكاتب الى أطواء النفس الانسانية وخفاياها ليصور لنا ما تجيش به هذا الأطواء من عجائب وأسرار .. بل لعل هذا أيضا هو ما دعا الى ظهور المسرحية الخيالية التى تنقلنا من واقع الحياة الى عالم خيالى أو فكرة خيالية تنسينا متاعب الحياة ومشاكلها وأوضارها . ان المسرحية عند أصحاب الفنون الجمالية ومدرسة الـ Pre-Raphaeliest بالذات يجب ألا تكون قطعة فنية خالصة مثلها فى ذلك مثل السيمفونية والألحان الموسيقية والصورة الأخاذة والتمثال الساجى وقصيدة الشعر التى تفيض بالأشجان وتبتل بالمدامع وتبتعد عن مشاكل الحياة وأوجاع المجتمع .. وهذا هو ما صنعه أوسكار ويلد فى قصصه

وأقاصيصه وأشعاره وفى جميـــع ملاهيه المشهورة ... انه لا يعطينا موضوعا ولا يعرض علينا مشكلة ... بل هو يكتفى بموقف من المواقف المسلية يغرس فى روضه مفارقاته المضحكة، ويعلق عليه كناياته وتورياته ، ويزوده بغرائب كلمـه العـذب الذى يفيض بحسن البادرة وجمال النادرة والأجوبة المفحمـة المسكتة .

* * *

وذاعت شهرة ويلد حتى كاد أن يصبح فى أنظار العـامة زعيما لتلك الجماعة الجمالية ، ودعى لالقاء طائفة من الأحاديث فى أمريكا التى افتتنت بشخصيته فذهب اليها سنة ١٨٨٢ وألقى فيها ما يزيد على مائتى حديث ، وأخرجت له فيها أولى مسرحياته « ڤيرا » التى لم تصب هنـاك نجاحا يذكر . ثم عاد الى أوربا وأقام فترة فى باريس حيث كتب مسرحيتـه الجديدة « دوقة پادوا » التى نسج فيها على منوال شيكسپير فى شعره المرسل ، وحيث نظم أهم أشعاره « أبو الهول » تلك المنظومة التى يقول فيهـا مؤرخو الشـعر الانجليزى الحديث انهـا قـد أثرت — ويا للأسف — تأثيرا شديدا فى شعراء الانجليز الشباب ولا سيما الشاعر چيمس فلكر J. Elroy Flecker (١٨٨٤—١٩١٥)

الذى جرى فى أذيال الجماليين ودان بكل ما كانوا يدينون به .

واضطرته حاجته الى المال مرة أخرى الى العودة الى انجلترا وجوب أرجاء الريف الى القاء الكثير من محاضراته الأمريكية فيها لقاء أجور تافهة .

ثم تزوج فى سنة ١٨٨٤ واستقر وأنجب وأخـــذ يكتب فصـــولا عن أشـــهر الكتب لجـريدة البول مول غازيت Pall Mall Gazette وفصـولا عن المسرح للمجـلة المسرحية : The Dramatic Review .. كما استمر فى القـــاء محاضراته الخلابة التى جعلته أعظم متحدث فى انجلترا منذ سنة ١٨٨٥ ، وأخذ المجتمع يتفكه بجوامع كلمه ويتناقل مفارقاته ويتنـدر بما كان يرسله من نكات وفكاهات يرتجلها ارتجالا وينفضهـا خاطره السريع فى غير مشقة ولا تكلف . لقد حاول برنارد شو أن يهاجم ويلد ، كالذى يحـاول أن ينفى عن نفسه أنه تأثر به أو تتلمذ عليه .. لكن شو لم يفلح فى هذا .. فهو قطعا من تلامذة ويلد ومن أشد الذين تأثروا بفنه الفكاهى الساخر ... وليس شو هو الذى تأثر بويلد فحسب ، بل لقد تأثر به معظم مشاهير عصره من الكتاب الانجليز والفرنسيين والأمريكيين ؛ لقد كان تأثيره — حتى فى خصومه — تأثيرا جارفا لا استثناء له .

ثم رأس مجلة « عالم المرأة » وظل يحررها من سنة ١٨٨٧ حتى سنة ١٨٨٩ ، وظل ست سنوات تبدأ من ١٨٨٥ يكتب القصص القصيرة والأقاصيص الخرافية الخلابة وكتب رسالة عن شيكسبير ، كما ظهرت قصته الخالدة « صورة دوريان جراى » التى تشتمل محاوراتها على زبدة آرائه فى فلسفة الجمال ، كما كان لها أكبر الأثر فى توجيه النقد الحديث،وأثارت عاصفة شديدة من الجدل حول ما تضمنته من قيم بين تلاميذه وخصومه . وقد ظهرت « صورة دوريان جراى » أول ما ظهرت فصولا متتابعة فى مجلة « لبنكوت Lippincott's Magazine » وذلك فى غضون سنة ١٨٩٠ ، ثم ظهرت فى كتاب سنة ١٨٩١ وقد أضاف اليها ويلد بضعة فصول أخرى وقدم لها بمقدمة ضافية ، فأثار ظهورها من جديد عاصفة ثانية من السخط الشديد بين نقاد الكتب فى الصحافة البريطانية كانوا يديرونها على مجافاة القصة للأخلاق ، وثورتها على تقاليد المسز جراندى وتمردها على روح العصر الفكتورى وجرأتها على العرف والآداب العامة .

وفى سنة ١٨٩١ أخذه أحد الأصدقاء ليستمع الى حديث يلقيه شو عن الاشتراكية ، فما كان منه الا أن انتحى ناحية ثم راح يكتب رأيه فى موضوع المحاضرة .. أعنى فى النظام

الاشتراكى .. وجعل يكتب ثم يكتب .. والظاهر أنه كان يكتب بوحى من مناقشاته عن الموضوع مع صديقه وليم موريس الشاعر والرائد الاشتراكى المعروف ... وقد كانت نتيجة ماكتب فى هذه المناسبة رسالته الرائعة التى سماها : « روح الانسان فى ظل الاشتراكية The Soul of Man Under Socialim التى جاءت آية فى الأدب الانجليزى والتى قال فيها « ان الاشتراكية ستقوم عن الانسانية بكل المشاق التى لا غنى عن القيام بها للارتفاع بكل انسان عن مجرد كسب قوته اليومى ؛ كى يتفرغ لمهام أعلى وأسمى » وهو يعنى بالطبع مهام الروح والشواغل العليا للنفس الانسانية .

ويلد يتألق فى المسرح :

وفى سنة ١٨٩١ أيضا وقعت أزمة مسرحيته « سالومه Salomé » التى كتبها بالفرنسية ، والتى قبلت الممثلة الطائرة الذكر ساره برنار القيام ببطولتها وقضت ثلاثة أسابيع بالفعل فى التدريب عليها ؛ وكانت المسرحية على وشك أن تظهر على خشبة مسرح القصر Palace Theatre فى لندن .. الا أن الرقابة تدخلت فى المراحل الأخيرة ومنعت تقديمها للجمهور بحجة منافاة بعض أجزائها لما ورد فى العهد الجديد عن القصة نفسها . وهنا ثار أوسكار ويلد ، وراح يضرب مسز جراندى على حر وجهها ،

بل راح يذبح التزمت الڤكتورى ويأخذ بتلابيبه ، ثم صمم على الهجرة من انجلترا كلها والعيش فى فرنسا ، واعتزم التجنس بالجنسية الفرنسية ... وليته فعل ! ونقول ليته .. لأنه لو أنفذ ما اعتزمه من ذاك لأفلت مما كتب عليه أن يلقاه من الهوان بعد ذلك بثلاث سنوات ، ولما حدث هذا الحادث المؤسف الذى راحت سمعته ضحية له .. بل تحطمت حياته كلها من جرائه .. ذلك أنه كان قد رفع دعوى على الماركيز كوينزبرى والد صديقه لورد آلفرد دوجلاس لينفى عن نفسه ما أشاعه الوالد من وجود علاقات مشينة بين ويلد وبين آلفرد لو ثبتت لهدمت كيان ويلد الأدبى .. فاذا محامى المركيز يقلب القضية على رأس ويلد ويجعل موكله يدلى باعترافات شائنة تجرح الحياء وتريق دم الشرف ، فلا يرى القاضى بعد ثبوت التهم التى أثارها المركيز الا أن يأمر بالقبض على ويلد ، ، ومحاكمته هو..ثم الحكم عليه بالسجن عامين مع الأشغال الشاقة ...

على أن مسرحية سالومة هذه هى التى جعلت من ويلد كاتبا من كتاب المسرح العالميين .. وقد مثلتها ساره برنار فى باريس فطارت شهرتها فى أركان العالم ، ولم يمض وقت طويل حتى أخرجت فى برلين ، وأقبل الألمان على مشاهدتها من كل فج؛ وطال أمد عرضها هناك حتى ضربت الرقم القياسى فى عدد

الحفلات التى عرضت فيها ، بحيث لم يفقها فى ذلك أى مسرحية انجليزية ، ولا نستثنى مسرحيات شيكسبير نفسه !

ويقول هيسكيث بيرسون H. Pearson : « ان مسرحية سالومة وان شعرنا فيها بلمسة من فلوبير وأثر من ميترلنك تتميز بطابع خاص بها وجو غير مجلوب من أية مسرحية أو أية قصة أخرى ... ومع ذلك فنحن لا نملك الا أن نعترف بالجميل للرقيب الذى منع تمثيلها ... لأن رفضه هذا صرف أنظار ويلد عن كتابة المأساة الى كتابة ملاهيه الحديثة »

وقد قام بترجمة المسرحية من الفرنسية الى الانجليزية صديق ويلد لورد آلفرد دوجلاس وذلك سنة ١٨٩٤ وحولها الموسيقار النمسوى المشهور يوهان شتراوس J. Strauss (١٨٢٥ — ١٨٩٩) الى أوپرا عالمية عظيمة . وظل أمر الرقيب الانجليزى بمنع عرض المسرحية ساريا ولم يلغ الا سنة ١٩٣١(!)

وخلاصة المأساة أن هيروديا زوجة هيرود فيليب تطلق زوجها هذا وتتزوج من أخيه هيرود آنتيپاتر ملك اليهودية (أرض الميعاد) لغرام آثم بين الزوجة وبين الأخ بالرغم من أنها أنجبت من الزوج الشرعى ابنتها الجميلة سالومة (سالومى). ويثور النبى يوحنا المعمدان (يوكانان Iokanaan عند ويلد) لهذا الزواج ويعده زواجا محرما آثما فيأمر الملك بالقبض عليه

والزج به الى السجن .. وتسخط عليه هيروديا وتتربص به الدوائر لما شنع به عليها . ويكون يوم عيد ميلاد هيرود الملك فيقيم وليمة عظيمة ويطلب الى سالومة أن ترقص لأضيافه فيها ، لكنها تتأبى وتتدلل فيعرض عليها أن ترقص وأن تطلب منه ما يشاء لقاء رقصتها وان طلبت نصف مملكته .. وهنا تذهب الى أمها تستشيرها فتشير عليها بأن تطلب رأس يوحنا المعمدان على طبق من الذهب ! ولكن .. كيف .. وسالومة نفسها مجنونة غراما بيوحنا المعمدان .. هذا الرجل القوى المفتول العضل ، الذى يثير فى سالومة أعنف أحاسيس الشهوة الجامحة (!) عند ذلك تذهب سالومة الى يوحنا تخيره بين اثنتين .. اما أن ينيلها من نفسه ما تشاء .. واما أنفذت ما أشارت عليها به أمها .. ويرفض النبى الطاهر بطبيعة الحال .. فترقص سالومة .. وتطلب رأس يوحنا المعمدان .. فاذا حاول الملك أن يثنيها عن هذا الطلب أصرت عليه .. فيكون لها ما تريد .. وحينما يقدم اليها الرأس الشريف تكب على شفتيه تقبلهما بنفس الشغف الذى كانت تضمره لصاحبه وهو على قيد الحياة ..

وموضع خروج ويلد على ما جاء فى الانجيل هو هذا الحب الشهوانى الذى أقامه فى قلب سالومة للنبى يوحنا المعمدان .. كما أنه أشعل مثل هذا الحب فى قلب هيرود الملك الذى جعله

يجن غراما بسالومة ابنة أخيه وابنة زوجته فى وقت واحد . وقد وقع الكاتب المسرحى الألمانى هرمان سودرمان(١٨٥٧ — ١٩٢٨) فيما وقع فيه ويلد ، وذلك فى مأساته « نيران القديس يوحنا The Fires of St. John » التى ظهرت سنة ١٨٩٧ متأثرا فيها بويلد من غير شك .

مروحة الليدى وندرمير

وفى الثانى والعشرين من فبراير سنة ١٨٩٢ مثلت ملهاة ويلد : « مروحة الليدى وندرمير » تلك المسرحية التى ظهرت ترجمتها فى تلك المجموعة والتى قرأنا مقدمتها الشائقة التى لا يمكن أن نزيد عليها الا أن الممثل والمدير المسرحى الكبير جورج ألكسندر الذى دفع لويلد مائة جنيه لقاء تمثيل المسرحية لأول ظهورها حاول أن يشترى منه حق تمثيلها الدائم لقاء ألف من الجنيهات نقدا (وما كان أضخم هذا المبلغ فى ذلك الوقت) فاعتذر ويلد لأنه أدرك أنها سوف تدر عليه أضعاف هذا المبلغ وقد تحقق ما كان يرجوه .

امرأة غير ذات أهمية

وفى التاسع عشر من ابريل سنة ١٨٩٣ مثلت ملهاة ويلد الثانية : « امرأة غير ذات أهمية » التى ترجمت الى العربية أيضا

فى (مجموعة الألف كتاب) والتى أخرجها ومثلها السير بير بوم ترى Sir Beerbohm Tree (١٨٥٣ — ١٩١٧) فى مسرحه هيماركت بلندن .

والمسرحية عرض لقصة فتاة خدعها شاب خليع بوعوده البراقة الكاذبة حتى اذا أسلمت له نفسها عاد فحنث فيما وعدها به من الزواج ولم تنجح توسلاتها ولا نصائح أبيه فى ايقاظ ضميره والبر للفتاة بوعوده .. ولا تملك الفتاة الا أن تحمل وليدها وتنأى به الى مكان سحيق وتغير اسمها فتدعو نفسها مسز أربوثانت ؛ وتخوض معركة جهاد مضن شريف .. وتمضى عشرون عاما .. ويكبر ابنها ، ويلقى أحد اللوردات الذى يعجب به ويعرض عليه أن يتخذ منه سكرتيرا له ؛ ويستشير الشاب أمه ، فاذا ذكر لها اسم اللورد اذا هى تنصحه بألا يقبل المنصب .. ويلح الفتى فى معرفة السبب فلا تملك الأم الا أن تخبره ... ان اللورد هو ذلك الشخص الدنىء . النجورث ... الذى اعتدى عليها منذ عشرين عاما ... فكيف تطيق أن يعمل ابنها عنده .. والأم هنا لا تخبر ابنها بأن هذا اللورد النجورث هو أبوه .. انها تؤجل البوح بهذا السر الى حادث تال ... وذلك حينما يهوى ابنها فتاة جميلة تلقى اللورد النجورث الذى لم يفارقه طبعه فى مغازلة الحسان .. والذى

يحـــاول أن يفوز بقبلة من الفتـــاة على مشهد من چيرالد — الابن — فيثور چيرالد ويهم أن يقتـــل اللورد ، لولا أن تتدخل أمه فى اللحظة الحاسمة ، وتخبر ابنها أن اللورد ليس شخصا آخر غير أبيه .. أبيه صاحب الجريمة القديمة ... وهنا يحاول الابن أن يصلح بين الأم وبين الأب ، ويحاول أن يقنـــع والدته بأن تصبح زوجة للورد .. لكن الأم ترفض رفضا تاما أن يكون لها هذا المجرم الحانث زوجا .. وتشجعها الفتاة على هذا الموقف ، وتقترح أن يهاجر الثلاثة : الأم والابن والفتاة .. الى أمريكا .. بعيدا عن حياة لنـــدن الموبوءة .. ليكافحوا من أجل حياة جديدة ..

والمسرحية كما نرى لا تختلف من جميع ملاهى أوسكار ويلد الأربع .. فهى تشتمل كسائر هـــذه الملاهى على عنصر المفاجأة .. وعامل التحول الذى يظل خافيا علينا حتى نفاجأ به .. وتفاجأ به بعض شخصيات المسرحية فى مرحلتها الأخيرة .. وهذا العنصر هنا هو اتضاح ، أو انفضاح .. شخصية النجورث لابنه وهو يهم بقتله .

ولعلنا نلمس هنا أثر ابسن فى رسم شخصيـــة الأم التى ترفض التزوج من النجورث الذى أقدم على جريمته القديمـة

معها ، وحنث بوعده لها منذ عشرين عاما ... هذا ... وان يكن البون شاسعا بين فلسفة كل من الكاتبين .. لأن ويلد كان لا يحبذ تعبيد الفن للحياة .. بينما كان ابسن يتخذ منه أداة لاصلاح الحياة والمجتمع .

الزوج المثالى :

وفى الثالث من يناير سنة ١٨٩٥ مثل بيربوم ملهاة ويلد الثالثة .. الزوج المثالى .. وكانت ملهاة ناجحة كسابقتيها .. حشد فيها ويلد من جوامع كلمه وقوارص مفارقاته — ولا سيما فى الفصل الأول — ما لم يحشده فى ملهاة له من قبل ولا من بعد .. لقد كانت الزوج المثالى اللطمة الثالثة التى وجهها ويلد الى خدود ناقديه فأفحمتهم وألزمتهم الصمت، وجعلتهم يؤمنون بأنهم أمام الكاتب الذى أحيا سنة كاتب الملهاة الانجليزية وأعظم روادها وليم كونجريف W. Congreve (١٦٧٠ — ١٧٢٩) وزعيم الملهاة السلوكية الأشهر والذى ضاع فى زحمة كتاب الملاهى الهابطة فى فترة عودة الملكية فى انجلترا ، وظلمه ناقده جيريمى كولير Jeremy Collier (١٦٥٠ — ١٧٢٦) حتى جعله يعتزل التأليف المسرحى ... لقد استطاع أوسكار ويلد حتى الآن أن يقاوم تيار مسرحيات الأفكار ومسرحيات المشكلة ، وأن يعيد للملهاة الانجليزية تيارها الجارف الذى خلقه

لها كونجريف من الضحك الخالص الذى يفضح مع ذلك سلوك العلية وينشر فيها مخازيهم .. الأمر الذى لم يسبق اليه ويلد غير الكاتب الايرلندى الفذ ريتشرد برنسلى شريدان : R. B. Sheridan(١٧٥١ — ١٨١٦) مؤلف ملهاتى الغرماء ومدرسة النميمة .

وتدور قصة الملهاة حول دسائس هذه المس تشيڤرلى ومخادعاتها .. تلك السيدة التى « تبدو عبقرية فذة سحابة النهار ، وغادة تأسر القلوب بجمالها فى ظلام الليل » اننا نراها فى مطلع المسرحية وهى تتألق فى حفلة مسائية أقامها لورد وليدى شلتون Chilton فى قصرهما بلندن ... ولا تلبث ليدى شلتون أن تتبين فيها احدى صويحبات الدراسة التى طردت من المدرسة بسبب سرقة ارتكبتها .. وكذلك يعرفها روبرت شلتون أيضا ، وان لم يبح بسرها لزوجته . وروبرت هذا فى الأربعين من عمره .. ويعمل وكيلا لوزارة الخارجية ، وهو معروف مشهور باستقامته ونقاء سمعته ، وان يكن قد ارتكب اثما شنيعا قبل ثمانى عشرة سنة .. ذلك أن شهوته الى اقتناء المال والحصول على الثروة فى ذلك الوقت جعله يبيع أحد أسرار الدولة بمبلغ طائل من المال . وتفلح المس تشيڤرلى فى

الحصول على الخطاب الذى يدين لورد روبرت شلتون ؛ وهى تستعمله الآن لابتزاز ما تشاء من الأموال منه . ثم تحاول أن تجعله يعطى موافقته على أحد المشروعات المقدمة للوزارة ، وهو المشروع الذى كان يعارضه معارضة شـــديدة .. ولا يملك المسكين آخر الأمر الا أن يوافق انقاذا لسمعته . وعندما تعلم زوجتـــه بتحوله عن رأيه فى المشروع المذكور ؛ وهى لا تدرى سبب هذا التحول ، تشعر بصدمة شديدة تؤرقهـا وتنفى عن عينيها طيب المنام ، حتى يضطر روبرت الى الكتـابة الى مسز تشيفرلى يخبرها أنه لن يستطيع البر بوعده فى الموافقـة على المشروع اياه .. وفى اليوم التـالى تزور مسز تشيفرلى ليدى شلتون ولايلبثان أن يتشاجرا شجارا عنيفا تضطر فى نهايتـه مسز تشيفرلى أن تبوح لها بسر الجريمة القديمة ... على أن القصة تنتهى نهاية سعيدة عند ذاك ، ويمنـح اللورد شلتون منصبا وزاريا يزيده ثراء على ثراء .

أهمية أن يكون الانسان ارنست :

يقول مؤرخو ويلد انه كتب ملهاته هذه — أهمية أن يكون الانسان ارنست — وهى أحسن ملاهيه ، فى ثلاثة أسابيع .. وذلك حينما أخذ عائلته لقضـاء فترة من الراحـة والدعة فى ضاحية ورذنج Worthing بمقاطعة سسكس بالمنزل رقم ٥

ش اسپلانيد Esplanade ... هكذا ... لأن المسرحية فى نظر مؤرخى المسرح .. وتاريخ الملهاة بوجه خاص .. حدث عظيم يستحق أن تسجل جميع حركات الكاتب التى مهدت له وتمخضت عنه ، ولأن أوسكار ويلد كان قد أصبح فى بحبوحة من العيش ، ودرت له أخلاف الرزق كما نقول نحن العرب ، بعد نجاح ملاهيه الثلاث التى ذكرناها وعرضنا هنا خلاصة اثنتين منها .. بل أصبح يتأنق ويتطاوس ويباهى الملوك فى مظهره ويتطاول على نقاده ويشمخ على سائر معاصريه من الكتاب المسرحيين ويتعمد اغاظة محترفى الصحافة ممن كانوا يهزلون به ويسخرون منه ويحاولون أن يحطوا من قيمة أعماله المسرحية وآياته الأدبية الأخرى .. ويشيعوا عنه الشائعات .. أجل .. لقد انفتحت لهاة ويلد للتأليف المسرحى وتفتحت له شهيته .. فكتب آية آياته هذه فى ثلاثة أسابيع .. وصدرت فى نفس السنة التى ظهرت فيها ملهاته « زوج مثالى » أى سنة ١٨٩٥ ، وفى يوم عيد المحبة من تلك السنة .. أى فى الرابع عشر من فبراير .. يوم عيد القديس ڤالنتين .. ثم .. وا أسفاه .. فى نفس السنة التى وقعت فيها محنة الكاتب الذى يشهد مؤرخو الملهاة الانجليزية الحديثة أنه ، وبلا شك ، أستاذ أعلامها

المحدثين : من أمثال آرثر چونس ، وچيمس بارى ، وموم ، وشو ، وجراتفيل باركر ، وغيرهم وغيرهم .

ولكن .. لنعرض أولا خلاصة سريعة لهذه المهزلة الخفيفة التى ارتفعت فوق غيرها من المهازل بحبكتها اللطيفة ورشاقة حوارها وجمال موافقها وحسن عناية ويلد برسم شخصياتها وهذه المفارقات البديعة المبتكرة التى اختصها بها المؤلف ولم يجر بها قلمه فى قصة « صورة دوريان جراى » كما هى الحال فى الملاهى الثلاث التى سبقتها ... وقبل تلخيص الملهاة — أو المهزلة — أحب أن أشير الى أننى لست من رأى الذين يقولون ان هذا التلخيص يقلل من قيمة التشوف فى نفس القارىء الى موضوع المسرحية ، وأنه يضيع عليه قيمة المفاجأة بما لا يحسن ألا يعلمه الا فى حينه .. وهذا كلام ظاهره صحيح .. لكن قائليه ينسون أن المسرحية لم تكتب أصلا لتقرأ ، ولكن لكى يشهدها الناس وهى تعرض من فوق خشبة المسرح ... وهذا هو الأصل فى الكتابة للمسرح .. أما قراءة المسرحيات .. والمسرحيات التى كتبت للتمثيل بالذات .. فقن لا يجيده الا القليلون .. ولهذا لم يكن بد من مغازلة أذواق عامة القراء بملخص سريع يعينهم على المضى فى قراءة المسرحية .. ولا سيما المسرحيات التى تكون من نوع الملهاة الخفيفة ، أو المهزلة التى يصعب على

القارىء العادى الامساك بخيطها العام المتصل لكى يستطيع أن يفهمها ، وألا يضل فى تيه حوادثها ومواقفها .. كما هى الحال فى مسرحيات ويلد ، ومسرحيات تشيخوف .. وغيرهما من أئمة الكتاب الذين لم يكتبوا تمثيلياتهم للقراءة .. بل كتبوا لكى يتولى أساطين المخرجين مهمة تفهيمها للمتفرجين .

ولعل مما يزيد ملاهى ويلد صعوبة فى أثناء قراءتها أنه يلجأ فى معظم الأحيان الى تسمية كل شخصية بأسماء ثلاثة ... وذلك كشخصية آلچيرنون مثلا .. الذى هو آلجى مرة ، ثم مستر مونكريف مرة أخرى .. ثم آلچيرنون مرة ثالثة ... ومثل شخصية چاك الذى هو مستر چون مرة ، ثم مستر ورذنج مرة ثانية ، ثم مستر ارنست مرة ثالثة ، ثم مستر ارنست ورذنج مرة رابعة ، ثم چاك مرة خامسة .. وهكذا بقية الشخصيات .. الأمر الذى يوقع القارىء فى الحيرة ، ويجعله (يضرب لخمة !) فى سائر الأحيان .. فينصرف عن المسرحية نادما على أنه اشتراها ! بل يجعله يسىء الرأى بها مهما تكن فى نظر النقاد من خيرة المسرحيات .

❊

ففى الفصل الأول من هذه المسرحية نرانا فى غرفة جلوس فخمة بمنزل آلچيرنون أو مستر آلچى ، وقد حضر فجأة وعلى

غير انتظار صديقه مستر چاك .. أو مستر چون .. أو مستر ارنست ورذنج .. جاء من الريف الى المدينة طلبا للمتعة ، والتماسا للتسلية .. لأن الانسان عندما يكون فى المدينة فانه يسلى نفسه ، أما فى الريف ، فانه يسلى الناس .

ويعلم چاك من صديقه آلچى أن الليدى براكنل — أو السيدة أوجستا — تلك التى لا يهمها فى الدنيا كلها الا الحسب والنسب والمال وأهل الثروة والجاه — ستحضر الساعة لزيارة آلچى الذى يسميها خالته .. وفى صحبتها ابنتها الفتاة الجميلة الساحرة جويندولين ، أو مس فرفاكس ، التى يهواها چاك ، ويبالغ دائما فى مغازلتها واظهار هيامه بها ومحبته لها ، ولهذا يقول له آلچى ان الخالة أوجستا لن ترحب بوجوده هنا لهذا السبب ، فاذا قال له چاك انه انما حضر لكى يطلب يد جويندولين من يد أمها ليدى براكنل ، بدت الدهشة فى وجه آلچى ، لأنه « لا يرى فى الزواج أى شاعرية .. لأن الشاعرية الحقة هى فى أن يظل الانسان عاشقا ... أما اذا تزوج .. فسرعان ما يخمد الحب ، وتبرد اللهفة .. وجوهر الشاعرية فى الحب هو أن يظل الأمر معلقا بين الشك واليقين .. وهو اذا تزوج ، فلسوف يحاول نسيان هذا الحادث المؤسف ! »

فاذا طمأنه چاك بأن محاكم الطلاق انما وجدت خصيصا لمن

كانت لهم مثل عقلية آلچى الغريبة هـذه ، أجابه آلچى بأنه لا فائدة من انشغال الفكر فى أمثال هذه الأمور : لأن الطلاق انما يتم فى السماء (!) ... وأما زواج چاك من جويندولين فلن يتم .. لأن البنات لا يتزوجن أبدا من الرجال الذين يغازلن ، ولأنه زواج لا يوافق عليه آلچى ، الذى هو ابن خالتها .. ثم هو .. اذا كان يريد أن يسمح له بالزواج منها ، فلا بد له قبل ذلك من تصفية موضوع سيسلى !

ويدهش چاك .. ويطلب تفسيرا لهذه المفاجأة .. وهنا يطلب آلچى الى خادمه أن يأتيه بعلبة السجائر التى نسيها مستر چاك فى آخر زيارة له .. فاذا أتى بها الخادم ورآها چاك بدا الجزع فى عينيه وحاول أخذها .. ولكن آلچى يطلب اليه تفسيرا لهذا الاهداء المنقوش على غطاء اللعبة من الداخل ، كما يطلب بيانا عن هذه الصغيرة سيسلى التى تقول انها تهدى العلبة الى عمها چاك . فمن هى سيسلى ؟ ثم .. من هو چاك ؟

ويقول چاك ان سيسلى هى خانته (!) وانه هو نفسه چاك، وان يكن آلچى لا يعرفه الا باسم ارنست .. لأنه يتسمى باسم چاك فى المدينة ، وباسم ارنست فى الريف . والسبب فى ذلك « أن الشيخ توماس كارديو الذى تبنانى وأنا طفـل صـغير

جعلنى وصيا فى وصيته على حفيـدته مس سيسلى كارديو .. وهى لذلك تدعونى عمها .. وهى تعيش فى الريف حيث أعيش ، وترعاها هناك مربيتها مس پرزم .. ولكونى وصيـا وجب أن أتخلق أمام الفتاة بأحسن الصفـات وأسمى الفضائل ، وألا ألتمس التسلية الا بعيدا .. فى المدينة مثلا .. وقد ادعيت لهذا السبب أن لى أخا صغيرا اسمه ارنست يعيش فى ألبانى ، وأنه يتورط فى مشاكل شـديدة تستوجب سفرى من حين الى حين كلما والنظر فيما يلزمه ... وقـد حـدث ، ويا للأسف ، أننى ذكرت لسيسلى شيئا عن أخى هذا الذى اخترته ، ثم وصفتـه بالجرأة وبالعيش والاستهتار ، فما هالنى الا أن أراها تحبه بل تعشقه وتهيم به ، وان لم تره ، ولن تراه .. لأنه شخص خيالى ، وأنا الذى اخترعته ... فياليت جويندولين تقبـل الزواج منى لأستغنى عن هذا الأخ ويختفى نهائيا من حياتى ، وحتى لا يفسد علىّ سيسلى » .

والظريف أن يسمع چاك من آلچى أنه يصنع مثله تماما .. انه يتخذ أخا خياليا يسميه بنبرى Bunbury ويسكنه الريف ليجد حجة كلما أراد البعد عن المدينة .

وفيما هما يتحدثان اذا ليدى براكنل وابنتها جويندولين

تحضران ؛ ويستطيع آلچى باحدى حيله أن يأخـــذ خالتـه وينصرف ليخلى الجو لصديقه چاك ولحبيبته جويندولين ، ثم اذا نحن نعلم أن الفتاة تحبه حبا يملك عليها شغاف قلبها ، وأنها تحبه منذ اللقاء الذى عقده بينهما ابن خالتها آلچى الذى قدمها الى صديقه باسمه الثانى ارنست .. ذلك الاسم اللطيف الذى عشقته جويندولين وعشقت مافى صـــاحبه من جد ورجـــولة ، ورذنج .. وهكذا يبوح كل من الحبيبين بحبه ويتباثان الغرام ، وتصرح الفتاة فى سكرة من سكرات الهوى أنها لم تكن لتحب حبيبها لو لم يكن اسمه ارنست ... هـــذا الاسم الموسيقى الساحر السعيد .

ثم يتعاهدان على الزواج ، ويركع چاك (أعنى ارنست) بين يدى جويندولين ليطلب يدها كما يفعل العلية دائما .. وهنا.. تفاجئهما ليدى براكنل..والدة الفتاة .. وعندما تقول جويندولين لأمها ان الشـــاب كان يطلب يدها للزواج ، اذا بأمهـــا تقطب جبينها .. بحجة أن الخطبة تكون بتقدم الشاب اليها هى أو الى والد الفتاة .. وليس الى الفتاة نفســـها .. بذلك قضت مسز جراندى ممثلة آداب اللياقة فى العصر الڤكتورى ..

وتأمر الفتاة بالخروج وانتظارها بالعربة حتى تخلو هى الى

چاك لتسأله من هو ، ومن أبوه ومن أخـوه ومن ذووه ومن ذو مال (!) — وهذا هو المهم —

ونكون أمام مشهد من أظرف مشاهد الملهاة . ان لم يكن أظرفها جميعا ... واذا ليدى براكنل تخرج من جيبها قائمة كبيرة بأسماء ذوى الحسب والنسب من شباب عائلات العلية وأهل الجاه ممن هم فى سن الزواج ، واذا هى تقول ان اسم ارنست ليس مدرجا بها .. مع أنها هى نفس القائمة التى تحملها دوقة بولتن .

ويكون أول سؤال لها هو عما اذا كان يدخن ؟ فاذا أجابها أن : نعم .. قالت « حسنا ... اذ يجب على الرجل ألا يكون عاطلا من الشغل أيا كان نوعه !

وعلى هذا المنوال المضحك تجرى الأسئلة والأجوبة والتعليق على الأجوبة ، حتى تسأله آخر الأمر عن أملاكه فيجيب أنها ألف وخمسمائة فدان فى الريف وقصر منيف وعدد من آلاف الجنيهات تعمل فى أسهم وسندات عدد من الشركات .. فتبتهج ليدى براكنل .. ثم تسأله عن والده ... ويذهلها قوله انه لا يعرف !

— لا تعرف ؟!

— الواقع ليدى براكنل أننى فقدت والدى اذ أنا طفل صغير .. أو أنهما على الأصح قد تقدانى .. ثم عثر علىّ المغفور له مستر توماس كارديو هذا الشيخ النبيل الذى يفيض قلبه بالخير فأخذنى وتبنانى ومنحنى اسم ورذنج .. فقد تصادف أن كانت بجيبه تذكرة سفر الى ورذنج فسمانى هذا الاسم الظريف ... وقد عثر على فى حقيبة يد ضخمة يا ليدى براكنل.. وجدها فى مخزن الأمانات بمحطة فكتوريا ...

وتستنتج ليدى براكنل من هذا الحديث العابر أن المتقدم الى ابنتها ان هو الا لقيط لا يعرف أحد له أبا أو أما ... وتشترط عليه ان كان يريد لهذه الزيجة أن تتم أن يبحث له ، وبمنتهى السرعة ، عن أب أرستقراطى محترم ، وعن أم من طبقة لها مقامها ومكانتها ، وأن يتم ذلك قبل انتهاء موسم الزواج (!)

وتنصرف ليدى براكنل شامخة مختالة .. ويدخل آلچى فيقول له چاك انه لم يلق فى حياته قط غولة كهذه الغولة التى يسميها آلچى خالته ... واذا اعتذر لآلچى عن وصفه خالته بأنها غولة طمأنه آلچى بقوله :

— اطمئن بالا يا صديقى العزيز فانه ليطيب لى الاستماع الى السباب ينصب على رؤوس أقاربى ... لأنه الشىء الوحيد الذى يربطنى بهم ! ...

ويستدرج آلچى صديقه چاك حتى يعلم منه أن سيسلى فتاة بارعة الجمال وأنه لم يخبرها أن له — أى لچاك — اسمين ... چاك فى المدينة وارنست فى الريف .. وأن ارنست — هذا الأخ الذى اخترعه چاك اختراعا — لا يزال موضع الهوى من نفس سيسلى ، وأن جويندولين سوف تصبح لها صديقة وفية حينما يتم زواجها من چاك — الذى لا تعرفه جويندولين الا باسم ارنست .. وأن چاك ، منعا للبس ، يستطيع أن يبيد ارنست الخيالى من روع سيسلى بادعائه عند الضرورة أنه قد مات وشبع موتا ، حينما أصابته نوبة برد شديد .

ثم تدخل جويندولين ، فتطلب الى آلچى أن يعطيها الفرصة لتتحدث الى حبيبها ارنست (أى چاك أرجوك أيها القارىء !) على انفراد ... فيتوجه چاك نحو المدفأة .. وهنا تبدى جويندولين تخوفها من ألا يتم لهما ما يتمنيانه من زواج ، وتقول انها ستبقى على وفائها ، بل عبادتها له ، حتى اذا تزوجت غيره .. ثم تسأله عن عنوانه بالريف فيخبرها به .. وهنا يتناول آلچى الخبيث قلما ويكتب العنوان على كم قميصه لأمر سنعلمه فيما بعد .. ويقول چاك انه باق بالمدينة الى يوم الاثنين ، فيبتهج آلچى لهذا أيضا ... وتقول جويندولين انها ستتصل به يوميا ، وأنهما سوف يلتقيان حتى بعد زواجها من غيره ..

ثم يسمحان لآلجى بأن يدير وجهه فيفعل .. وتنصرف جويندولين ، ويخرج چاك لوداعها .. وهنا يدعو آلجى خادمه (لين) فيأمره باعداد حقيبة سفره .. واعداد أبهى حلله وأشدها أناقة .. لأنه ينتوى رحلة قصيرة من أجل : التبنبر !

وما هو التبنبر ؟

أى القيام بدور شخصيته المستعارة باسم بنبرى Bunbury

*

وفى الفصل الثانى نكون فى منزل سيسلى التى نراها وهى تحاور مربيتها مس پرزم التى تقوم على تثقيفها وتعليمها ... انها لا تكاد تدع علما من العلوم ولا لغة من اللغات ولا فنا من الفنون الا علمتها اياه .. ثم يتحدثان عن العم چاك — الوصى على سيسلى — وعن أخيه الموهوم ايرنست الذى تعشقه الآن سيسلى وتود لو يأتى به وليها چاك لكى تنعم برؤياه ، ولكى يعالج من مرضه ... ثم يدخل عليهما أحد رجال الدين .. هذا القس كانون تشوزيبل .. الذى نلاحظ أنه رجل مشغوف غراما بمس پرزم .. وأنه جاء ليقطف نظرات منها ، وأنه يود لو كان تلميذا لها ليتعلق بشفتيها (!)

ويوقظ الفاجر ما نام من الهوى فى قلب المربية فتذهب معه يتمشيان لحظة ويتركان سيسلى تضحك عليهما ، وترثى لحالهما مما يفعل الحب .

ثم يدخل الخادم وقد حمل بطاقة عليها اسم : ارنست ورذنج!

آه ! يا للمفاجأة ..

ان سيسلى تأذن له بالدخول .. انه منية القلب وفتى الأحلام .. ولعله لم يعلم أن أخاه چاك لم يصل بعد من المدينة .. ولكن .. لا بأس .. فمن الممكن أن تعد له حجرة مريحة وثيرة ليقيم بها حتى يعود أخوه .

ويدخل هذا المستر ايرنست ورذنج .. فاذا هو صاحبنا آلچى ! آلچى هذا العفريت الذى أراد أن يعبث بصديقه چاك مستغلا أخاه الخيالى ايرنست الذى لا وجود له ، والذى تهواه سيسلى بسبب ما سمعت عنه من عبثه وشقاواته مع الحسان .

ويدخل العفريت رافعا قبعته وهو يتساءل عما اذا كانت الآنسة سيسلى هى ابنة عمه الصغيرة ؟ وتؤكد له سيسلى أنها

هى بعينها ، وأنها لا ترى فيه هذا الطائش المستهتر الذى وصفه عمها چاك ، الذى يعتزم ارساله الى استراليا لاصلاحه ...

ثم تبدأ سلسلة من الغزل اللطيف والملح الحلوة ينصب آلچى الخبيث شراكها للفتاة ... ثم اذاهما يغادران المكان الى الداخل .. ثم اذا نحن نرى القس العاشق يعود فى صحبة مس پرزم وهما يثرثران عن الزواج وعن الجاذبية ... لكنهما يفاجآن بعودة چاك الذى لبس ثياب الحداد .. لقد عاد ولم يحن يوم الاثنين بعد ، اليوم المضروب لعودته .. فماذا عاد به يا ترى؟ ويسأله القس وتسأله مس پرزم فيقول ان أخاه ايرنست قد مات .. مات اثر نوبة شديدة من البرد .

ثم يدور حديث يرد فيه شىء عن التعميد فيسأله چاك عما اذا كان الدين يجيز تعميد الكبار ان كانوا لا يذكرون أنهم قد عمدوا وهم أطفال ؟ ويكون جواب القس بالايجاب ، فيفرح چاك ويتفقان على الميعاد الذى يذهب فيه چاك الى الكنيسة لأداء هذه الشعيرة الدينية .

ثم نفاجأ بدخول سيسلى التى تلقى عمها چاك فتدهش لعودته المفاجئة هذه ، والتى تعجب لهذه الملابس الكئيبة التى يرتديها ... انها تلح عليه فى الذهاب لتغييرها ، لأن أخاه ..

أجل .. أخاه ايرنست قد وصل الساعة من غربته ، وغير خليق به أن يلقاه بهذه الملابس الكئيبة ...

ويسقط فى يد چاك ... وتبدو الحيرة فى وجـــه القس العاشق ، وفى وجه المربية الولهانة ..

وينكر چاك أن له أخا ... وتظن سيسلى أنه ينـــكر أخاه ايرنست لبشاعة ما حدثها به عن سلوكه وألوان طيشه فتدافع عنه دفاعا حارا ، وتقول انها تضمن أن يغير ايرنست من هـــذا السلوك لكى يصبح ملكا كريما مهذبا .. ثم تخـــرج لتحضر ايرنست ... فاذا هى تعود ومعها العفريت آلچى ...

ويفهم چاك الملعوب كله ! لكنه يظـــل مقطبـــا بالرغم من توسل سيسلى اليه أن يبتسم وأن يصفح لأخيـــه وأن يحسن لقاءه ، ولا سيما أن هذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها للزيارة . ويسألها چاك عما اذا كان هذا الأيرنست العزيز قد حدثها عن أخيه بنبرى الكريم ؟ وتقول الفتاة انه قد تحدث اليها عنـــه بالفعل ، لكن الزمن كفيل باصلاح سيئات الناس جميعا . ثم تعود فتلح عليه فى مصافحة ايرنست .. أعنى آلچى الخبيث .. فيفعل وهو يكاد ينشق من الغيظ .

ويخرج الجميع ... الا چاك والا آلچى ... اللذان يأخذان

فى حوار لطيف يطلب فيه چاك من صاحبه أن يستعد للرحيل فورا .. وفى قطار الرابعة .. لكن آلچى يقول له ان غرام سيسلى قد ملك عليه قلبه ... لقد جاء مازحا ، لكن المزاح انقلب فصار جدا .. ثم ان سيسلى تبادله حبا بحب ، وليس من حق چاك مهما كان وصيا عليها أن يتدخل فى أمور قلبها .

ويخلو المكان مرة ثانية لآلچى وسيسلى فاذا هما يتعاهدان على الزواج ، واذا سيسلى تقول انها مرتبطة بالزواج منه منذ ثلاثة أشهر ... أى قبل أن تراه بثلاثة أشهر .. وذلك منذ أن صافح اسمه العذب أذنيها ، وأنها تكتب اليه خطابات طويلة مسهبة منذ ذلك التاريخ ، وان لم ترسل اليه منها شيئا ... وأنها كانت تحلم منذ صباها بأن تكون معشوقة لشخص يكون اسمه ايرنست ... الخ ...

ويستأذنها آلچى الخبيث فى نصف ساعة يقضى فيها بعض الشئون الخاصة بزواجهما ، حتى اذا انصرف دخل الخادم معلنا حضور فتاة تدعى مس فرفاكس .. التى هى جويندولين..حبيبة چاك ...

ولا تمضى لحظات حتى تتعارف الفتاتان .. وتقول سيسلى انها لا تزال صغيرة السن ولما تبلغ سن الرشد بعد ، وأن مستر

ورذنج (أى چاك .. حبيب جويندولين) هو الوصى عليها ..

وتدهش جويندولين ، لأن چاك لم يخبرها قط بأنه وصى على أحد ... چاك الذى تعرفه باسم مستر ايرنست ورذنج ... وتذكره بهذا الاسم أيضا لسيسلى ، التى تستوقفها قائلة :

— معذرة يا جويندولين ... آقلت ايرنست ؟

— نعم

— ولكن مستر ايرنست ورذنج ليس هو الوصى على ... ولكن الوصى هو أخوه الأكبر ...

ويثور الوسواس فى صدر كل من الفتاتين .. لأن ايرنست هو حبيب كل منهما وأمنيتها فى الحياة ... ايرنست الذى هو چاك نفسه وحبيب جويندولين ... ثم ايرنست الذى لا وجود له والذى اخترعه چاك ليكون حجة له فى الانفلات الى المدينة كلما شاء التسلية وجرى وراء المتعة ، والذى عشقته سيسلى (على السماع !)

ثم لا تلبث الشحناء أن تدب بين الفتاتين .. ويكاد الأمر أن يبلغ بينهما حد المشاجرة ، وترمى كل منهما أختها بأنها محتالة تحاول الاستيلاء على حبيبها بالكذب والخداع ... وابتزاز مال الغير بدون وجه حق .

ثم يدخل چاك ....

وتندفع جويندولين نحوه فيهم بتقبيلها ... لكنها تنحيه لتسأله عما اذا كان حقا مرتبطا بخطبة تلك الفتاة ؟ ... وتشير نحو سيسلى .

ويضحك چاك ، وينفى أنه مرتبط بأية خطبة لغير جويندولين ... ثم يسألها عما ألقى بذلك الوهم فى روعها ؟ !

ويطمئن بال سيسلى ، وتدرك أن شيئا من سوء الفهم هو الذى أدى الى كل ما حدث ... ولأول مرة تعرف أن حبيبها ارنست ليس شخصا آخر غير مستر چاك ورذنج عم سيسلى والوصى عليها

وهنا يدخل آلچى ، يدخل دون أن يلاحظ وجود أحد غير سيسلى .. التى يجرى نحوها لكى يقبلها .. لكنها تتراجع ... وتسأله عما اذا كان حقا مرتبطا بخطبته لتلك الفتاة .. جويندولين ؟

ويضحك آلچى ، وينفى التهمة عن نفسه ، فتسمح له سيسلى بتقبيلها .. بينما تقول لها جويندولين ان الفتى الذى يقبلها ان هو الا ابن خالتها .. مستر آلچيرنون مونكريف !

ولأول مرة تعرف سيسلى أن حبيبها ارنست يسمى آلچيرنون.. وآلچيرنون مونكريف على وجه التحديد

وللمرة الأولى أيضا يعترف چاك للفتاتين أنه لا يسمى ايرنست ، وأنه ليس له أخ يسمى ايرنست

وتنصرف الفتاتان لبعض شأنها .. ويخلو المكان لكل من چاك وآلچى ليثرثرا ثرثرة مضحكة عما قام به كل منهما من هذه الشقاوات ... ثم يثيران موضوع التعميد استعدادا لعقد قرانهما على أسس دينية سليمة !

وفى الفصل الثالث ، والأخير ، نكون فى غرفة أخرى من غرف منزل سيسلى .. ونكون مع الفتاتين سيسلى وشيطانها الأحمر آلچى ، وجويندولين ، وشيطانها الأزرق چاك ؛ وقد شرعت كل فتاة تناقش صاحبها عما دعاه الى جميع أمور الشيطنة هذه .. ويشرع كل من الشابين فى الاعتراف بالحقائق كلها ... ثم تكون المشكلة فى نظر الفتاتين هى حبهما للاسم اللطيف العزيز الرشيق ايرنست .. اسم الأحلام الغرامية التى أضفتها كل منهما على فتاها ومنية نفسها ، فيقول الفتيان ! انهما قد اتفقا على أن يعمدهما القس تشاسوزيبل من جديد توطئة

للزواج المرتقب وأن فى الامكان اختيار الاسم الذى يروق كلا منهما .. ثم يرتمى كل من الفتيين فى ذراعى فتاته يلثم شفتيها .

وهنا .. تدخل ليدى براكنل ! والعياذ بالله من ليدى براكنل هـذه !

ان ليدى براكنل تطلب تفسيرا لهذه القبل من ابنتهـا جويندولين ، وقد منعتها أمها من لقاء چاك حتى يبحث له عن أب أو أم أرستقراطيين .. ولكن جويندولين تجيب بأنها مخطوبة لفتى أحلامها .. وتستدير الأم نحو چاك لتقول له ان اختفـاء ابنتها ، وعلمها بأنها هنا فى ذلك البيت جعلها تطير اليه لتعيدها الى منزلها ، وانها تنذر چاك من جديد بأن يقطع ما بينه وبين ابنتها ... وأنها لا تقبل ما يحتج به مما تعهد به لابنتها من هذه الخطبة المزعومة .

ثم تترك چاك ، وتأخذ فى مناقشة آلچى ، ابن أختها هـذا العفريت الأحمر ... وتسأله عن صاحبه بنبرى العزيز .. فيقول انه قـد مات .. أودى به انفجـار فمات واستراح من حالته الميئوس منها .. ثم تسأل عن هذه الفتاة التى يأخذ آلچى بيدها بتلك الطريقة الناعمة العجيبة ، فيقول چاك انها الآنسة سيسلى كارديو ، وأنه هو الوصى عليها ، وأنها مخطـوبة لصـديقى مستر آلچى .

وبعد عاصفة من المناقشات المضحكة اذا ليدى براكنل تسأل عما اذا كانت سيسلى .. أو مس كاردبو .. تملك ثروة لها قيمتها ؟ .. ويجيبها چاك بأنها تملك مائة وثلاثين ألفا من الجنيهات ... ولا يكاد يقول هذا حتى تصبح سيسلى فى نظرها أجمل الفتيات وابنة أرقى الأسر العريقة والجديرة بكل ثناء ، والجديرة أيضا بخطبة ابن أختها آلچى .. وأن الزواج يجب أن يتم بأقصى سرعة .

ويتدخل چاك فيقول انه بوصفه وصيا على سيسلى يرفض أن يتم هذا الزواج ، لأن آلچى فتى مفلس سيىء السلوك .. وله سطوات يخشى منها على الفتاة التى أؤتمن هو عليها ... ثم يشرح لها ما كان من احتيال آلچى وتلصصه ، واغرائه لسيسلى القاصر .

ثم يحضر القس الذى استبطأ حضور كل من چاك وآلچى الى الكنيسة ليجرى لهما مراسم التعميد فتدهش ليدى براكنل .. لأن ابن أختها آلچى قد عمد وهو صغير وانتهى الأمر .. ففيم كل هذا الاسراف وبعثرة الأموال فيما لا يجدى.

ثم يجرى ذكر مس پرزم على لسان القس فتسأله ليدى

براكنل فى انذهال عمن عسى أن تكون هذه المس ... پرزم .. فاذا أوضح لها القس من تكون مس پرزم طلبت الليـــدى أن تراها فى الحال ..

وتحضر مس پرزم ، وتعتب على حبيبها القس تباطأه فى الحضور اليها على طول انتظارها .. لكنها ترى فجـأة ليدى براكنل .. فاذا هى تقف جامدة متخشبة .. وكأنهـا قـد رأت عزرائيل رأى العين !

ان ليدى براكنل تسأل مس پرزم عما صنعت بذلك الطفل الذى خرجت به منذ ثمـانى وعشرين ســنة لتتيح له شيئا من الرياضة عندما كانت مربية له فى دار أبيه فلم تعد به من يومها ! أين هو ؟ لقد حير أمره ، وأمرها أيضا ، كل رجال البوليس !

« ولقد عثر البوليس بالعربة ، لكنه لم يعثر بالطفـل .. فأين .. تكلمى ! »

وتتكلم مس پرزم .. وتشرح اللغز الهائل .. لغز حياة چاك المسكين !

تقول مس پرزم انها عندما خرجت بالطفل كانت قد أخذت معها حقيبة كبيرة تضع فيها مخطوطة المؤلف الذى كانت تكتبه اذ ذاك .... ثم جلست لتكتب بعض مذكراتها ، ولما انتهت مما

تكتبه اذا هى تنسى فتضع الطفل فى الحقيبة والمخطوط فى العربة .. وفى شطحة من شطحات الفكر تنسى الحقيبة وتدفع بالعربة أمامها الى المنزل .. وهكذا كان ضياع الطفل !

ولا يكاد چاك يسمع قصة الطفل وقصة الحقيبة وقصة مخزن الأمانات بمحطة ڤكتوريا حتى يدرك أنه يسمع قصته .. وحتى يسرع الى داخل الدار ثم يعود وفى يده الحقيبة السوداء المذكورة ، وتتبين عليها مس پرزم حروف اسمها .

ويهرع چاك الى مس پرزم يحسبها أمه .. وأمه التى أتت به اثر نزوة من نزوات الشباب (!) ويقول لها حينما يبدو عليها الاضطراب انه يغفر لها ذلك الماضى .. وانه يعفو ويصفح ..

ولكن مس پرزم تطلب من ليدى براكنل أن تجلو الأمر لمستر چاك .. فلا تملك ليدى براكنل الا أن تبوح لمستر چاك بالحقيقة :

انه ابن أختها مسز مونكريف ! وانه على ذلك شقيق آلچى الأكبر ... وأنهما ابنان لأب واحد .. ولكن .. يا ترى ، من هو هذا الأب ؟ هذه هى المشكلة ..

ويجرى چاك الى أرفف المكتبة يبحث فيها عن قوائم ضباط

الجيش ... فلقد ذكروا أن أباه كان ضابطا عظيما فيه .. ثم يظل يقلب وينقب حتى يجد اسم : « ايرنست چون » فيكاد يجن من الفرح ..

ويصيح بحبيبة قلبه جويندولين :

— جويندولين .. ألم أقل لك ان اسمى ايرنست ، وأننى عمرى ما قلت لك الا الصدق !

ويبهت الجميع .. ويتقدم كل حبيب الى حبيبته يعانقها .. حتى القس الذى يأخذ مس پرزم ملء ذراعيه .

وينسى أن يعمد أحدا .. فلقد عمد الجميع منذ زمان بعيد.

*

وهذه هى الملهاة الخفيفة ، أو المهزلة اللطيفة التى جعل منها ويلد سيمفونية ساحرة تخلب الألباب بجمالها ، فاذا بحثت فيها عن موضوع لم تجده لأن أنصار الأدب الجمالى — كأنصار الفن الجمالى لا يخضعون أدبهم أو فنهم لدنيا المشاكل وقضايا الحياة .. انما هم يصنعون جمالا .. ثم لا بأس أن يخرجوا لخصومهم ألسنتهم من خلال العمل الفنى ليسخروا منهم وليستهزئوا بهم .. وبأهل العلية من المجتمع ، وبأدعياء العلم ، والمتطفلين على موائد المعرفة ، ومن لم يصلوا الى قمة الجاه

الا لكونهم فارغين من كل ما يشرف الانسان . وأنت لا تكاد تجد صحيفة من تلك المسرحية الضاحكة أو غيرها من مسرحيات ويلد أو قصصه خالية من جوامع كلمه ومفارقاته : ومن ذلك مثلا سخريته بالثقافة العصرية حيث يقول : ان الثقافة العصرية تقوم فى الغالب على ما لا ينبغى للمرء أن يقرأه !

أو قوله فى الحياة العصرية والأدب الحديث : قلما تكون الحقيقة شيئا خالصا لا تشوبه شائبة ، وقلما تكون بسيطة . وان الحياة العصرية لتكونن جد مملة لو كانت الحقيقة احداهما، وليكونن الأدب الحديث فى حكم المستحيل كل الاستحالة اذا كان هذا أو ذاك .

أو قوله فى سقم أذواق المستمعين للموسيقى : انك تعلمين أنه اذا عزف الانسان موسيقى لم ينصت له الناس ، واذا عزف موسيقى رديئة لم يتحدث منهم أحد .

أو قوله على لسان ليدى براكنل فى مدح الجهل : انى لا أوافق على أن تشوب الجهل الخالص أية شائبة ، فالجهل أشبه شيء بفاكهة رقيقة مستوره ، اذا مسستها ذهبت عنها نضارتها .. ان نظريات التربية الحديثة فى انجلترا فاسدة من أساسها ، ومن حسن الحظ أن التعليم عندنا لا تأثير له ، والا لكان خطرا داهما على الطبقات الراقية .

أو قوله فى المتاعب على لسان آلچى : انى أحب المتاعب لأنها الأشياء الوحيدة غير الخطرة .

أو وصفه لمبلغ علم القس تشوزيبل : ان دكتور تشوزيبل رجل من أوسع الناس علما وأشدهم تبحرا فى المعرفة .. انه لم يؤلف فى حياته كتابا واحدا ، ومن ثمة تستطيع أن تتخيل عظم ما بلغ من العلم .

أو قوله وهو يغمز من يدسون أنوفهم فيما لا يعنيهم : ان من العادات السوقية أن يتكلم الانسان فيما يعنيه (!) وسماسرة البورصة هم وأمثالهم هم الذين يفعلون هذا .

* * *

ثم وقعت الواقعة المؤسفة ، وسيق الكاتب الظريف الى سجن Wandsworth ، ثم الى سجن Reading ، حيث ظل يتجرع الهوان وأسوأ ضروب المعاملة من مديره الشيطان الذى حرمه من نعمة الكتابة والقراءة حتى توسط بعض أصدقاء ويلد فنقل المدير وسمح له المدير الجديد بهما فكتب كتابه : من الأعماق De Profundis ، الذى هبت على روحه فيه نفحات من الدين والذى روى فيه أطرافا من حياته ودافع فيه عن نفسه .. لكنها كانت نفحات طارئة لم تلبث

أن تلاشت فى ختام حياة ويلد ، فعاد وثنيا كما كان .. ومات وثنيا كما كان لا بد له أن يموت .. ومما جاء فى كتابه هـــذا وهو يتحدث عن المسرح :

« لقد تناولت المسرحيـــة ، التى هى أكثر صـــور الفن موضوعية ، فجعلت منها طريقة شخصية للتعبير عما فى نفسى ، تماما كما تعبر القصيدة الذاتية أو الأغنية وفى الوقت نفســه وسعت مداها ومرماها وأخصبت طريقة رسم شخصياتها »

والظاهر أن ويلد يشير الى الناحية الاجتماعية فى مسرحياته، أو لعله يشير الى ما كان يدور فى خلده أن يفعـل ، وما كان يقصد أن يقوم به لو أنصفت المقادير فى عمره ..

يقول بارت كلارك فى كتابه الرقيق : دراسة فى المسرحيـة الحديثة : « لقد كان ويلد ، أكثر من أى كاتب فى عصره ، يقدر قيمة الأسلوب ويعلى من قيمته . ومسرحياته وان اشتملت من حين الى حين على عينات من اللغة المتكلفة المثقلة بالبهارج ، فان مهزلة كمهزلته « أهميـة أن يكون الانســان ايرنست » هى انتصار لا شك فيه للصنعة .. أى التكلف .. انها عمل أراد به صاحبه صراحة أن يكون بهرجا يخطف الأبصار .. وقد كان ويلد من أقدر الكتاب على ابتكار العقدة المسرحية وخلق حيلتها

خلقا ينطوى على المهارة التى لم تتوفر الا لعدد قليل من كتاب المسرح فى جميع عصوره .

وقد كان آخر ما نظمه ويلد قصيدته الأسيفة : أغنية سجن ريدنج ، زنزانة ٣ — ٣ (!)

ولكن هذا موضوع آخر

على أننا لا نستطيع فى ختام هذه الكلمة عن ويلد وعن مسرحيته هذه التى هى آيته الكبرى أن نغفل ذكر حادث السطو الشنيع على تلك المسرحية .. وهو السطو الذى حدث عليها فى السينما المصرية وتمزيق أوصالها والقضاء فى الفيلم المصرى على جميع مزاياها ولا سيما حوار ويلد ومفارقاته البارعة ...

ولن يعجز القارىء — اذا كان قد شهد منزلة الفيلم المصرى أن يتذكر اسمه بعد الفراغ من قراءة المسرحية .

درينى خشبه

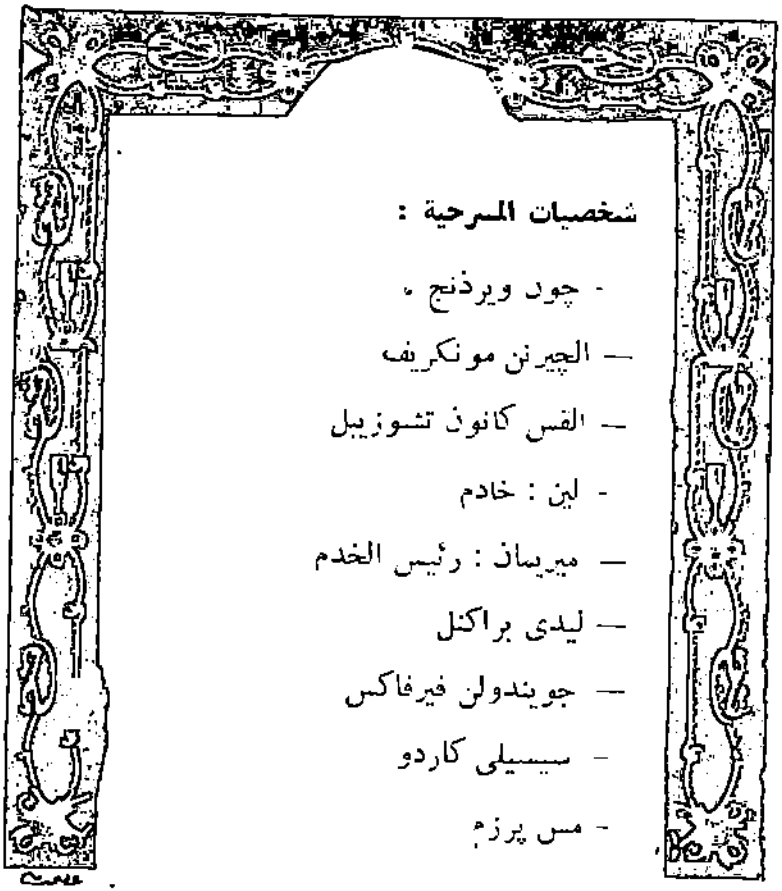

شخصيات المسرحية :

- چود ويرذنج .
- الچيرنن مونكريف
- القس كانون تشوزيبل
- لين : خادم
- ميريسان : رئيس الخدم
- ليدى براكنل
- جويندولن فيرفاكس
- سيسيلى كاردو
- مس پرزم

الفصل الأول

المنظر

(غرفة المعيشة فى شقة « الچيرنن » فى شارع « عاف مون » الغرفة مؤثثة على نحو فنى مترف . يسمع صوت بيانو من الغرفة المجاورة . « لين » الخادم يعد على المائدة شاى العصر . وبعد أن تتوقف الموسيقى ، يدخل الچيرنن) .

الچيرنن : هل سمعت ما كنت أعزف لين ؟

لين : لم أعتقد أن من مقتضيات الأدب أن أتصنت يا سيدى .

الچيرنن : يؤسفنى ذلك ، من أجلك . أنا لا أعزف العزف المضبوط .. كل انسان فى مقدوره أن يعزف العزف المضبوط . انما أعزف أنا بمقدرة تعبيرية رائعة . وحين يذكر البيانو فان القوة نابعة من عاطفتى . أما الخبرة العلمية ، فانى أدخرها للحياة .

لين : نعم يا سيدى .

الچيرنن : وعلى ذكر الخبرة العلمية فى الحياة ، هل أعددت « الساندوتش » بالخيار لليدى براكنل ؟

لين : نعم يا سيدى (يقدمها اليه على صفحة)

الچيرنن : (يتفحصها ، يتناول اثنتين ، ويجلس على الأريكة) آه ! ... على فكـرة لين ... تبينت فيمـا ورد بدفترك عن مساء الخميس الماضى ، عندما كان لورد شـومان ومستر ورذنج يتنـاولان العشاء معى ، أنك قيدت ثمـانى زجاجات من الشمبانيا على أنها قد استنفدت .

لين : نعم يا سيدى . ثمانى زجاجات ومائة وعشرين جراما من الزجاجة التاسعة .

الچيرنن : ما السر فى أن الخـدم فى بيوت العزاب ، هم وحدهم بلا استثناء ، الذين يشربون الشمبانيا دائما أبدا ؟ اننى أسأل لمجرد العلم .

لين : اننى أعـزو ذلك يا سيدى الى امتيـاز نوع الشراب . لقد طالما لاحظت أن الشـمبانيا فى بيوت المتزوجين ، ينـدر أن تكون من الصنف الممتاز .

الچيرنن : اللهم لطفك . أيكون الزواج مفسدا للمزاج الى هذا الحد ؟

لين : أعتقد أن الزواج حال مرضيـــة يا سيدى . أنا شخصيا لم يكن لى به حتى الآن غير تجـربة يسيرة . لم أتزوج غير مرة واحـــدة . كان ذلك نتيجـــة لسوء تفاهم وقع بينى وبين احـــــدى الفتيات .

الچيرنن : (فى فتور) لست على يقين من أن حياتك العائلية مما يشوقنى معرفته يا لين .

لين : كلا يا سيدى . فما هى بالأمر الشـــــائق . أنا شخصيا لا أفكر فيها أبدا .

الچيرنن : أنا متأكد من ذلك . انه أمر طبيعى جدا . هـــذا يكفى لين . أشكرك .

لين : الشكر لك يا سيدى

(لين يخرج)

الچيرنن : ان آراء لين فى الزواج آراء فجة . حقا اذا كانت الطبقات الدنيا لا تضرب لنا مثلا نحتذيه ، فما جدوى وجودها على الأرض ؟ يبدو أن أولئك

الناس من حيث هم طبقة فى المجتمع ، ليس لهم على الاطلاق أى شعور بالمسئولية الخلقية .

(يدخل لين)

لين : مستر « ايرنست ورذنج »

(يدخل چاك . ويخرج لين)

الچيرنن : كيف أنت يا عزيزى ايرنست ؟ ما الذى أتى بك الى المدينة ؟

چاك : أوه ، طلب السرور ، المتعة . أى سبب غيرهما يأتى بالانسان الى أى مكان ؟ آلچى . أرى أنك تأكل كعادتك دائما .

الچيرنن : (فى جفاف) أعتقد أنه من المتبع فى المجتمع الراقى أن يتناول الانسان طعاما خفيفا يتخلل به فى الساعة الخامسة . أين كنت منذ الخميس الماضى ؟

چاك : (جالسا على الاريكة) فى الريف .

الچيرنن : وأى شىء — بالله عليك — تفعل هناك ؟

چاك : (خالعا قفازيه) عندما يكون الانسان فى المدينة فانه يسلى نفسه . وعندما يكون الانسان فى

الريف ، فانما يسلى غيره من الناس . وهذا أمر مرهق للغاية .

الچيرنن : ومن هم الناس الذين تسليهم ؟

چاك : (فى خفة) ، الجيران ، الجيران .

الچيرنن : أوجدت جيرانا ظرفاء بناحيتكم النائية بمقاطعة شور بشاير ؟

چاك : بل فى غاية السماجة . انى لا أكلم أحدا منهم ألبتة .

الچيرنن : يا لها من تسلية عظيمة لهم (يقف فيأخذ شيئا من الساندوتش) على فكرة ، شوربشاير هى اقليمكم . أليس كذلك ؟

چاك : اه ؟ « شوربشاير » تقول ؟ نعم بالطبع . هاللو ! لم يا ترى كل هذه الأقداح ؟ ولمن الساندوتش بالخيار ؟ ولماذا يكون كل هذا الاسراف المستهتر من شاب فى مقتبل العمر مثلك ؟ من القادم لتناول الشاى ؟

الچيرنن : أوه ! ليس غير الخالة أوجستا و جويندولين

چاك : هذا شىء ظريف جدا . يا له من خبر سار .

الچيرنن : نعم انه لأمر ظريف جدا . غير أننى أخشى ألا تقر الخالة أوجستا وجودك هنا .

چاك : هل لى أن أسأل لماذا ؟

الچيرنن : يا صديقى العزيز ، ان الطريقة التى تغازل بها جويندولين صارخة ومثيرة للاشمئزاز . انها تكاد تضارع فى السوء طريقة « جويندولين » فى مغازلتها لك .

چاك : انى انما أحب جويندولين . قد جئت الى المدينة خاصة لأطلب يدها .

الچيرنن : ظننتك جئت فى طلب اللهو والمتعة . أما هذا فهو عندى مصلحة .

چاك : لكم أنت خلو من الشاعرية .

الچيرنن : فى الحق أنى لا أرى فى طلب الزواج أية شاعرية. الشاعرية كل الشاعرية فى أن يكون الانسان عاشقا . ولكن لا شيء من ذلك البتة فى خطبة محددة . فقد يقبل الخاطب زوجا . وهو عادة ما يقبل على ما أعتقد . وعندها سرعان ما تخمد اللهفة . ان جوهر الشاعرية فى الحب ، أن يظل

الأمر معلقا بين الشـــك واليقين . لو حدث لى يوما ما أن تزوجت ، فانى بكل تأكيد سأحاول أن أنسى هذا الذى وقع .

چاك : ليس عندى أى شك فى ذلك يا عزيزى آلچى . ان محكمة الطلاق قد ابتدعت خصيصا لمن كان لهم مثل هذه العقلية الغريبة التركيب .

الچيرنن : أوه ! لا فائدة من التباحث فى هذا الموضوع . فالطلاق انما يتم فى السماء

(يمد چاك يده ليأخذ ســـــاندوتش ، فيتدخل الچيرنين على الفور)

أرجوك ألا تمس ساندوتش الخيار ، فانها معدة خصيصا للخالة « أوجستا » .

(يتناول واحدة ويأكلها)

چاك : ولكنك ما انقطعت أنت عن أكلها طوال الوقت .

الچيرنن : ان الوضع يختلف كل الاختلاف . فهى خالتى .

(يأخذ طبقا من الرف الأسفل للمنضدة)

تفضل ، اليك بعضا من الخبز المزبد . ان الخبز المزبد معد « لجويندولين » . فهى تهيم به عشقا.

جاك : (متقدما الى المنضدة ليتناول شيئا) وانه لطيب جدا هذا الخبز المزبد .

الجيرنن : رويدك يا صديقى العـــزيز رويدك . أنت تأكل بطريقة توحى بأنك ستجهز على كل شيء . ان طريقتك فى الأكل توحى بأنك قـــد أصبحت زوجها فعلا . مع أنك لم تتزوجها بعد . وأعتقد أنك لن تتزوجها أبدا .

جاك : يا للشيطان ! أى شيء يدفعك الى هذا القول ؟

الجيرنن : يدفعنى اليـــه ، فى المقـــام الأول ، أن البنـــات لا يتزوجن أبدا من الرجال الذين يغازلن . انهن لا يجدن ذلك من الصواب فى شيء .

جاك : أوه . هذا كلام فارغ .

الجيرنن : ليس بالكلام الفارغ . بل انه لحقيقة كبرى . وهذا هو علة وجود ذلك العـــدد الضخم من العزّاب الذين يراهم الانسان فى كل مكان هنا فى لنـــدن . ثانيا : لأن هـــذا الزواج لن ينـــال موافقتى .

جاك : موافقتك ؟

الچيرنن : يا صـــديقى العزيز . ان « جويندولين » ابنـــة خالتى . وقبل أن أسمح لك بالزواج منها يتحتم عليك أن تصفى موضوع « سيسيلى » .

(يدق الجرس)

چاك : سيسيلى ؟ أى شىء تعنى يا للشـــيطان ؟ ماذا تعنى يا آلچى بسيسيلى ؟ انى لا أعرف أحدا اسمه سيسيلى .

(يدخل لين)

الچيرنن : ناولنى علبة السجائر التى خلفها مستر «ورذنج» فى غرفة التدخين آخر مرة تناول فيها هنا طعام العشاء .

لين : أمرك يا سيدى .

(يخرج لين)

چاك : أتعنى أنك احتفظت عندك بعلبة سجائرى طوال هذا الوقت ؟ وددت لو أنك أبلغتنى ذلك . لقد أرسلت رسائل هوجاء الى اســـكوتلانديارد فى شأن تلك العلبة . كنت على وشك أن أخصص جائزة ضخمة لمن يأتينى بها .

الچيرنن : ليتك تفعل ... فانى الساعة أشد افلاسا من المعتاد .

چاك : لا معنى لتخصيص جائزة ضخمة لشيء قد عثر عليه فعلا .

« يدخل لين بعلبة السجائر موضوعة على صينية . يبادر « الچيرنين » فياخذها ويخرج لين)

الچيرنن : أرانى مضطرا الى القول بأن ذلك سفار منك ايرنست . (يفتح علبة السجائر ويتفحصها) على أى حال ، لا يهم ، لأننى بقراءتى الآن ماهو منقوش عليها فى الداخل ، أتبين فى النهاية أنها ليست علبتك .

چاك : بل هى لا محالة علبتى (مقبلا عليه) لقد رأيتها بين يدى مائة مرة ، وليس لك مطلقا أى حق فى قراءة ماهو منقوش بداخلها . انه لمن غير اللائق بنبيل : « بجنتلمان » ، أن يقرأ المكتوب على علبة سجائر خاصة .

الچيرنن : أود ! انه لمن السخف أن تتخذ قواعد ثابتة جامدة ، فيما يجب أن يقرأ المرء وما يجب ألا

يقرأ . ان الثقـــافة العصرية يقوم معظمها على ما لا ينبغى للمرء قراءته .

چاك : انى على علم تام بالحقيقة . وما بى من رغبة فى مناقشـة الثقافة العصرية . فما هى بالشىء الذى يتحدث فيه الناس فى مجالسهم الخاصـــة . انى بكل بساطة أريد أن ترد الىّ علبة سجائرى .

الچيرنن : نعم .. ولكنها ليست علبة سجائرك . هذه العلبة هدية من شخص ما اسـمه سيسيلى . وقـد قلت انك لا تعرف أحدا بهذا الاسم .

چاك : حسن . اذا كنت تريد أن تعرف ، « فسيسيلى » هذه — فيما قضت به الأقدار — خالتى .

الچيرنن : خالتك !

چاك : نعم . وهى امرأة عجوز خفيفة الظل . تعيش فى تمبردج ولز . فدعنـا من هذا كله وأعد العلبة الى يا آلچى .

الچيرنن : (مراجعا بحيث يصل الى خلف الاريكة) ولمـاذا تسمى نفسها الصغيرة سيـيلى اذا كانت حقـا

خالتك وتسكن فى تمبردج ولز ؟ (قارئا) من الصغيرة سيسيلى مع مزيد حبها .

چاك : (يذهب الى الاريكة فيركع عليها) يا صديقى العزيز . وما وجه الغرابة فى ذلك ؟ بعض الخالات طويلات وبعض الخالات صغيرات . ذلك أمر ، لكل خالة لا محالة مطلق الحرية فى أن تقرره لنفسها . يبدو أنك تعتقد أن كل خالة يجب أن تكون مثل خالتك تماما . هذا سخف غير مقبول! بحق السماوات أعد الى علبة سجائرى .

(يتبع الچيرنن طائفين حول الحجرة)

الچيرنن : نعم . ولكن كيف تدعوك خالتك عمها ؟ من الصغيرة سيسيلى مع مزيد حبها ، الى عمها العزيز چاك . انى أوافق على أنه ليس ثمة ما يمنع أن تكون الخالة صغيرة ، لكن لماذا تدعو خالة أيا كانت سنها ابن أختها بعمها ؟ هذا شيء لا أفهمه . وفوق هذا فاسمك ليس چاك على الاطلاق . ان اسمك ايرنست

چاك : لا . ليس ايرنست . انما هو چاك .

الچيرنن : كنت دائما تقول لى ان اسمك ايرنست . ولقد قدمتك لكل انسان باسم ايرنست . وانه ليبدو عليك أن اسمك ايرنست . فايرنست معناه الجاد ، ولم أر فى حياتى أحدا فى الناس ينطبق عليه مدلول هذا الاسم أكثر من انطباقه عليك . فمن السخف المتناهى أن تقول ان اسمك ليس ايرنست . انه هو المطبوع على بطاقاتك . وهذى واحدة منها (يأخذها من حافظته ويقرأ) مستر ايرنست ورذنج ب ٤ ألباني . سأحتفظ بهذه دليلا على ان اسمك ايرنست ، اذا ما حاولت أن تنكره أمامى أو أمام جويندولين ، أو أمام أى انسان آخر .

(يضع البطاقة فى جيبه)

چاك : حسن . ان اسمى ، ايرنست فى المدينة . وفى الريف چاك وعلبة السجائر قدمت الى فى الريف.

الچيرنن : نعم . ولكن ذلك لا يفسر حقيقة كون خالتك الصغيرة سيسيلى التى تعيش فى تمبردج ولز ، تدعوك بعمها العزيز . هيا أيها الفتى العجوز .

كان من الأفضل لك أن تبادر بقول الحقيقة فورا .

چاك : يا عزيزى آلچى . انك تتحدث تماما كما لو كنت طبيب أسنان . انه لمن عدم اللياقة أن يتحدث الانسان بلهجة طبيب أسنان وهو ليس طبيب أسنان . ان هذا ليقع فى النفس موقع الزيف والتضليل .

الچيرنن : وهذا بالتمام ما يفعله دائما أطباء الأسنان . والآن هات ما عندك . خبرنى بالأمر كله . من حقى أن أصارحك بأننى كنت دائما أشتبه فى كونك « بنبورى" » سرى أصيل . ولكنى الآن أقطع باليقين أنك كذلك .

چاك : بنبورى؟ يا للشيطان ماذا تعنى بكلمة بنبورى ؟

الچيرنن : سأكشف لك ما خفى من معنى هذا التعبير الفريد ، حالما يبلغ من تعطفك أن تخبرنى لماذا أنت ايرنست فى المدينة و چاك فى الريف ؟

جاك : حسن . هات علبة سجائرى أولا .

الچيرنن : ها هى ذى . (يقدم علبة السجائر) والآن هات شرحك وبيانك . وعساه أن يكون من غير الجائز تصديقه .

جاك : يا صديقى العزيز . ليس هناك أى شىء غير جائز التصديق على الاطلاق فى شرحى للأمر . بل الواقع أنه عادى تماما . السيد الشيخ « توماس كاردو » الذى تبنانى وأنا طفل صغير ، جعلنى فى وصيته وصيا على حفيدته مس سيسيلى كاردو . وسيسيلى هذه التى تدعونى عمها استجابة لدواعى الاحترام التى لا يمكنك أن تقدر معناها حق قدره ، تعيش حيث أعيش فى الريف . تحت رعاية مربيتها الفاضلة « مس پرزم »

الچيرنن : أين ذلك المكان فى الريف ، على فكره ؟

جاك : هذا أمر لا يعنيك أيها الفتى العزيز . فانك لن تدعى الى هناك . أستطيع أن أقول لك بصراحة تامة ، ان هذا المكان ليس فى شوربشاير

الچيرنن : لقد حذرت ذلك يا صديقى العزيز ! اذ أننى قد سبق لى أن طفت بكل أرجاء « شوربشاير » فى مغامرتين متباعدتين من مغامراتى البنبورية . والآن استمر . لماذا أنت ايرنست فى المدينة و چاك فى الريف ؟

چاك : يا عزيزى « آلچى » ، لست أدرى اذا ما كان بوسعك أن تفهم دوافعى على حقيقتها فانك لست جادا بالقدر الكافى . عندما يعين الانسان وصيا ، يتعين عليه أن يتخلق بالصفات الخلقية السامية فى كل ما يعرض له من الأمور . ان ذلك لمن أخص واجباته . وحيث أن التخلق بالصفات الخلقية السامية ، أمر قد يتعذر معه توفر الصحةوالسعادة ، فلم يكن لى مندوحة — تبريرا لذهابى الى المدينة فى طلبهما — من الادعاء بأن لى أخا أصغر يعيش فى « ألبانى » ، ويتورط كل حين فى شر المشاكل . هذه يا عزيزى آلچى هى الحقيقة برمتها ، فى خالص صدقها وبساطتها .

الچيرنن : قلما تكون الحقيقة خالصة ، وما هى قط

بالبسيطة . وان الحياة العصرية لتكونن جد مملة لو كانت الحقيقة احداهما ، وليكونن وجود الأدب الحديث فى حكم المستحيل كل الاستحالة .

چاك : ذلك لا يكون شيئا سيئا على الاطلاق .

الچيرنن : ان النقد الأدبى ليس هو مجال التفوق عندك يا صديقى العزيز . فلا تحاول الخوض فيه - يجب أن تترك ذلك لمن لم يتلقوا العلم فى جامعة ، فهم يجيدون ممارسته على صفحات الصحف اليومية . انما أنت فى الحق « بنبورى » . كنت على حق تام فى قولى انك كنت بنبوريا . لأنت أحد السباقين فى طليعة البنبوريين الذين أعرف .

چاك : ماذا تعنى بالله من ذلك ؟

الچيرنن : لقد اخترعت لك أخا أصغر كبير النفع اسمه ايرنست . ليكون مبررا يتيح لك التردد على المدينة ما شئت . وأنا قد اخترعت لى مريضا مزمن العلة عظيم الفيمة اسمه بنبورى .

اخترعته ليكون مبررا يتيح لى النزول الى الريف كلما شئت . ان بنبورى عندى لذو قيمة لا تقدر . مثلا ، لولا صحته السيئة غاية السوء، لما كان فى مقدورى أن أتناول العشاء معك الليلة فى ويلز ، لارتباطى منذ أسبوع بتناوله عند خالتى أوجستا .

چاك : أنا لم أطلب منك أن تتناول معى العشاء الليلة فى أى مكان .

الچيرنن : أعرف . فأنت شديد الاهمال فى توجيه الدعوات الى حد السخف . هذا منك حمق كبير . فما يزعج الناس شىء كعدم تسلمهم الدعوات .

چاك : الأفضل لك أن تتعشى مع خالتك « أوجستا » .

الچيرنن : ليس عندى أدنى نية أن أفعل شيئا من هذا القبيل . أولا : لأنى قد تعشيت هناك يوم الاثنين . وحسب الانسان مرة واحدة فى الأسبوع لتناول العشاء مع أقاربه . ثانيا : لأننى كلما تناولت العشاء عند خالتى ، عاملتنى دائما كأحد أعضاء الأسرة ، وصرفتنى بعد العشاء غير

مصحوب بامرأة على الاطلاق ، أو فى صحبة اثنتين . ثالثا : لأنى أعرف تمام المعرفة الى جانب من ستجلسنى خالتى الليلة . ستجلسنى الى جوار « مارى فاركوهار » التى ما تنفك تغازل زوجها عبر مائدة العشاء . ذلك أمر ما أظنه يفعم النفس بالسرور . بل انه فى الحق لا ذوق فيه ولا لياقة . وهذا الأمر آخذ فى التفشى والتفاقم الذريع . ان عدد نساء لندن اللائى يغازلن أزواجهن قد تكاثر كثرة فاضحة . انه لمظهر قبيح . انه بمثابة غسل الملابس الداخلية النظيفة أمام الناس . الى جانب ذلك ، فانه من الطبيعى الآن وقد عرفت أنك بنبورىّ عريق ، أن يشوقنى التكلم معك عن « البنبورية » . انما أريد أن أوقفك على قواعدها .

چاك : ما أنا ببنبورى على الاطلاق . فلو أن جويندولين قبلت الزواج منى لَتَفَلْتُ أخى ، أجل أحسبنى لا محالة قاتله على كل حال ، فان سيسيلى مشغولة البال به أكثر مما يلزم ، وهذا مما يضايقنى . فلا مندوحة لى من

التخلص منه . وانى لأنصحك ملحا أن تفعل مثل ذلك مع مستر ... مع صديقك المريض المزمن صاحب الاسم السخيف ...

الچيرنن : ما من شيء يقنعنى بالانفصال عن بنبورى . واذا حدث أن تزوجت فى يوم من الأيام ، وتلك قضية قيد النظر ، فانك ستكون سعيدا جدا بأن تعرف بدورك بنبورى . الرجل الذى يتزوج دون أن يعرف بنبورى سيقضى ولا شك أوقاتا يخيم عليها الملل والسآمة .

چاك : هراء لا معنى له . اذا ما تزوجت فتاة جذابة مثل جويندولين وهى من بين جميع من رأيتهن فى حياتى ، الفتاة الوحيدة التى أرغب الزواج منها — فمن المؤكد أننى لن أكون فى حاجة الى أن أعرف بنبورى .

الچيرنن : وعندئذ ستكون زوجتك هى التى تشعر بهذه الحاجة . يبدو أنك لا تفهم أنه فى الحياة الزوجية ، تقوم الشركة على ثلاثة ، ولا يمكن قيامها على اثنين .

چاك : (كمن يرسل حكمة من جوامع الكلم)
تلك يا صديقى الصغير العزيز ، هى النظرية التى دأبت المسرحية الفرنسية الفاسدة المنحلة ، على عرضها والترويج لهـا أطوال الخمسـين سنة الأخيرة .

الچيرنن : نعم ، والتى أثبت البيت الانجليزى السـعيد صحتها فى نصف تلك المدة .

چاك : بحق السـماء لا تحـاول أن تكون مستخفا ساخرا . فمن السهل أن يكون الانسان كذلك .

الچيرنن : يا صـديقى العزيز . ليس من السهل أن يكون الانسان أى شىء فى أيامنا هـذه . فان التنافس البهيمى فى ذلك على أشده .
(يسمع رنين جرس كهربائى) آه : لا بد أنهـا الخالة أوجستا . ليس فى الناس غير الأقارب أو الدائنين وحدهم ، من يدق الجرس دائما هذه الدقة القـوية « الفاجنارية » . والآن ، اذا أنا أخليت لك الطريق منها لمدة عشر دقائق تنتهزها فرصـة لتعـرض على جويندولين الزواج ، أيكون لى عليك أن تدعونى للعشاء معك الليلة فى ويلز ؟

چاك : أظن ذلك اذا شئت .

الچيرنن : نعم . لكن يجب أن تكون جادا فى الأمر . انى أكره الذين لا يجدّون فى كل ما يتعلق بوجبات الطعام . ان ذلك دليل على السطحية وقلة العمق.

(يدخل لين)

لين : ليدى براكنل ومس فيرفاكس

(ألچيرنن يتقدم للقائهما . تدخل ليدى براكل وجويندولين)

ليدى براكنل : يوم سعيد أيها العزيز الچيرنن . أرجو أن تكون سالكا أقوم سبيل .

الچيرنن : أشعر أننى بخير وعافية يا خالة أوجستا .

ليدى براكنل : المدلول هنا ليس واحدا . انهما فى الحق أمران قلما يجتمعان .

(ترى چاك فتنحنى له فى فتور)

الچيرنن : (الى جويندولن) يالله ، أنت أنيقة .

جويندولين : انى دائما أنيقة . أليس كذلك مستر «ورذنج» ؟

چاك : انك آية الكمال مس فيرفاكس .

جويندولين : أوه .. أرجو ألا أكون كذلك . فان ذلك لو صح

لم يدع لى أملا فى اضطراد الرقى. وهو ما أبتغيه فى نواح عديدة لبلوغ الكمال ، وانى لأعتزم أن أبلغه .

(جويندولين وچاك يجلسان معا منتحيين ركنا)

ليدى براكنل : آسف أننا تأخرنا قليلا « الچيرنن » . ولكنى اضطررت الى زيارة ليدى «هاربورى» العزيزة. انى ما زرتها منذ وفاة زوجها المسكين . لم أر فى حياتى امرأة طرأ عليها مثل هذا التغيير . انهـا تبدو أصغر من سنها بعشرين عاما كاملة . والآن سأتناول قنجانا من الشـــاى وواحـــدا من الساندويتش بالخيار الذى وعدتنى به .

الچيرنن : بكل تأكيد يا خالتى أوجستا .

(يقصد توا الى مائدة الشاى)

ليدى براكنل: ألا تأتين وتجلسين هنا جويندولين ؟

جويندولين : شكرا لك ماما . انى فى غاية الارتياح حيث أنا .

الچيرنن : (متناولا طبقا فارغا فى فزع) أيتهـا السماوات الرحيمة . لين ! لماذا لا توجد ساندويتشـــات الخيار ؟ لقد أمرت خاصة باعدادها .

لين : (فى لهجة خطيرة) لم يكن هناك خيـار بالسوق

هذا الصباح يا سيدى . لقد ذهبت الى هنـاك مرتين .

الچيرنن : لا يوجد خيار !

لين : لا يا سيدى . حتى للذين يدفعون الثمن فورا .

الچيرنن : يكفى ، لين ! أشكرك .

لين : الشكر لك يا سيدى . (يخرج)

الچيرنن : انى فى غاية الضيق والألم يا خالتى «أوجستا» لعدم وجود الخيار حتى للذين يدفعـون الثمن فورا .

ليدى براكنل: ليس لهذا فى الحقيقة أية أهمية « الچيرنن » . لقد تناولت بعضـا من القطـائر مع ليدى « هاربورى » التى اخالها الآن تحيا كل حياتها للأنس والسرور .

الچيرنن : سمعت أن شعرها قد انقلب لونه أصفر ذهبيـا من فرط حزنها .

ليدى براكنل : من المؤكد أن شعرها قـد تغير لونه . أما بأى سبب ، فأنا بالطبـع ، لا أستطيع تحـديده .

(يعبر الچيرنن ويناولها الشاى) شكرا لك . انى

مدخرة لك الليلة مسرة عظيمة الچيرنن . سأهيء لك الانصراف مع « مارى فاركوهار » . انهـا امرأة ظريفة ، وشديدة الاهتمام بزوجها . ان فى مراقبتهما تسلية ممتعة .

الچيرنن : انى أخشى يا خالتى أوجستا مـع كل ذلك ، اننى مضطر الى التخلى عن التمتع بتناول العشاء معكم الليلة .

ليدى براكنل: (مقطبة الجبين)أتعشم ألا تتخلف الچيرنن فان تخلفك سيطفيء بهجة المائدة . ان عمك مضطر الى تناول العشاء فى الطابق العلوى ، من حسن الحظ أنه اعتاد ذلك .

الچيرنن : اننى متضايق من هذا أشد الضيق . وانى لفى غير حاجة أن أقول انه خيبة أمل مروعة لى . فالواقع أننى قد تسلمت منـذ قليل برقية بأن صديقى المسكين بنبورى قد ثقل عليه المرض مرة أخرى .

(يتبادل النظرات مع چاك) وهم بالطبع يرون وجوب وجودى الى جانبه .

ليدى براكنل: هـذا أمر فى غاية الغـرابة . يظهـر أن مستر

بنبورى هذا يعانى أعجب المعاناة من ســـوء حالته الصحية .

الچيرنن : نعم : المسكين بنبورى فى حال مزعجة من المرض المزمن .

ليدى براكنل : حسن الچيرنن ، لا بد لى من القول بأنه فيما أظن قــد آن الأوان لأن ينتهى مســتر بنبورى الى قرار نهائى اما أن يحيا ، واما أن يموت . ثم أننى لا أحبذ بحال من الأحوال هذا التقليد العصرى الذى يقضى باظهار العطف على العجــزة من المرضى المزمنين . انى أعــد هذا العطف فى حد ذاته مرضا نفسيا . ان المرض أيا كان نوعه ليس بالشىء الذى يجدر بنا تشجيعه عند الآخــرين . الصحة هى أول واجبات الحياة . أنى لا أكف عن ترديد ذلك على مسامع عمك المسكين . ولكنــه لا يبدو عليه أبدا أنه يلقى بالا الى ما أقول . والشاهد على ذلك أنه لم يطرأ على صحته أى تغيير .أكون ممتنة شاكرة لو أنك بلغت رجائى لمستر بنبورى نيــابة عنى أن يتفضــل بألا

يجعل موعد اتكاسه يوم السبت المقبل ، لأنى معتمدة عليك فى اعداد برنامجى الموسيقى . انه آخر استقبال أقيمه . وأنا بحاجة ماســـة الى ما يشجع على الحديث بين المدعوين . ولا سيما فى آخر الموسم حيث يكون قد سبق لكل انسان أن قال كل ما عنده . وهو فى معظم الأحـوال كلام قليل .

الچيرنن : سأحدث بنبورى فى ذلك يا خالتى أوجستا . ان وجدته لا يزال فى وعيه . وأظننى أستطيـع أن أعـدك بأنه سيكون بخـير يوم السبت . أما الموسيقى ، فأمرها بالطبع صعب عسير الى حد بعيد . فأنت تعلمين ، اذا عزف الانسان موسيقى رديئة لم يتحدث منهم أحد . ولكننى سـأعيد النظر فى البرنامج الذى أعددته ، اذا أنت تكرمت بالمجىء معى الى الحجرة المجاورة لحظـة من الزمان .

ليدى براكنل : انى شـــاكرة لك آلچيرنن . هذا من سـداد رأيك . (ناهضة تتبع « ألچيرنن ») أنا واثقة من

أن البرنامج سيكون ممتعا بعد اجـراء تنقيح بسيط . الأغنيات الفرنسية ليس بوسعى اجازتها فالناس دائما يعتقدون أنها خليعة ماجنة . وهم اما يبدو عليهم الاستنكار لها — وهـذا أشبه ما يكون بالعامة — واما يضحكون منها وهذا أسوأ . ولكن الألمانية يبدو من رنين لهجتها أنها لغة وقور محترمة . وانى لمؤمنة بأنهـا كذلك .

جويندولين انك ستلحقين بى ؟

جويندولين : بكل تأكيد يا ماما .

(ليدى براكنيل والجيرنن يدخلان الى غرفة الموسيقى . جويندولن تتخلف عنهما وتبقى)

چاك : يوم لطيف مس « فيرفاكس » .

الجيرنن : أتوسـل اليك ألا تكلمنى عن الطقس مستر ورذنج ، فكلمـا كلمنى النـاس عن الطقس تأكدت فى صميم نفسى أنهم يعنون شيئا آخر . وذلك يثير أعصابى .

چاك : فعلا . انى لأعنى شيئا آخر .

جويندولين : هذا ما حدسته ، والواقع أنى لم أخطىء الحدس أبدا .

چاك : وانى لأتمنى أن يسمح لى بانتهاز فرصة غيابه ليدى براكنل المؤقت .

جوبندولين : بالتأكيد أنصح لك بأن تنتهز الفرصة . ان والدتى لها أسلوبها فى العودة المفاجئة . الأمر الذى طالما اضطررت الى مراجعتها فيه .

چاك : (بعصبية) مس فيرفاكس . منذ أن رأيتك لأول مرة ، وأنا أعجب بك أكثر من أية فتاة قابلتها قبل أن قابلتك .

جوبندولين : نعم . انى لعلى علم تام بهذه الحقيقة . ولكم تمنيت لو أنك كنت فى المجتمعات أكثر اظهارا لهذا الاعجاب على أية حال . أما بالنسبة الى فلقد كان لك فى نفسى سحر لا يقاوم . حتى قبل أن ألقاك كنت مشغولة البال بك .

(« چاك » ينظر اليها فى دهشة) اننا نعيش مستر ورذنج — ولعلك عليم بذلك — فى عصر المثل السامية الخيالية . هذه الحقيقة ترددها باستمرار أرفع المجلات الشهرية ثمنا . وقيل لى انها قد وصلت فى انتشارها الى المنابر فى الأقاليم .

ولقد كان من أعز أمانيّ ومثلى التى أرجو أن تتحقق ، أن يكون حبيبى شخصا اسمه ايرنست . ان فى هذا الاسم شيئا يوحى الثقة التامة . فى اللحظة التى ذكر لى فيها الچيرنن لأول مرة أن له صديقا يدعى ايرنست ، عرفت أنه مقدر علىّ أن أحبك .

چاك : أحقا تحبيننى جويندولين ؟

جويندولين : بكل جوارحى .

چاك : حبيبتى أنت لا تتصورين أى انسان سعيد جعلت منى .

جويندولين : ايرنست العزيز .

چاك : ولكن ما أظنك تعنين أنك ما كنت تحبيننى ، لو لم يكن اسمى ايرنست ؟

جويندولين : لكن اسمك ايرنست ؟

چاك : نعم أعرف أنه كذلك . ولكن لنفرض أن كان لى اسم غيره . أتعنين القول بأنك ما كنت لتحبينى اذ ذاك ؟

جويندولين : (فى طلاقة) آه . ذلك ولا ريب بحث فلسفى .

وهو كغيره من البحوث الفلسفية ، لا يمس من قريب أو بعيد حقائق الحياة كما نعرفها .

چاك : أنا شخصيا يا حبيبتى أصـــدقك القول بأننى لا أحفل كثيرا باسم ايرنست .. ما أظن هـذا الاسم يناسبنى على الاطلاق .

جويندولين : بل انه يناسبك تمـاما . انه اسم سماوى . له موسيقاه الخاصة . تنبعث منه اهتزازات تهتز لها النفس .

چاك : مع ذلك ، فى الحقيقة ، « جويندولين » يجب أن أقول اننى أعتقد أن هناك أسماء كثيرة غيره ، أجمل منه وأظرف . أعتقد أن « چاك » مثـلا ، اسم جذاب .

جويندولين : چاك ؟ .. كلا فليس فى جرسه من الموسيقى الا النذر اليسير . هذا ان كان فيـه موسيقى على الاطلاق . انه اسم لا يهز النفس . لأنه لا تنبعث عنه أية اهتزازات ... عرفت كثـيرين باسم چاك وهم جميعا بلا استثناء ، كانوا عاديين وأقل من عاديين . يضاف الى ذلك أن چاك هو المرادف الدارج المبتـذل لاسم چـون . وانى لأرثى

لأية امرأة تتزوج من رجل اسمه چون . انها لن يتاح لها اذا خلت لنفسها أن تشعر لحظة بالسعادة التى كانت تشعر بها لو كان اسم زوجها ايرنست . ان الاسم الوحيد الذى يكفل ذكره السعادة هو ايرنست .

چاك : « جويندولين » يجب اذن أن أعتمد من جديد فى الحال — أقصد أننا يجب أن نتزوج فى الحال. ليس لدينا وقت نضيعه .

جويندولين : تتزوج مستر ورذنج ؟

چاك : (فى دهشة بالغة) انه ... من المؤكد ، أنت تعرفين أنى أحبك . وقد جعلتنى أصدق مس فيرفاكس أنك لم تكونى غير مشغولة البال بى .

جويندولين : اننى أعبدك . ولكنك لم تطلب يدى بعد . لم يجر على لسانك شىء عن الزواج بالمرة . بل ان الزواج لم يطرق موضوعه حتى من بعيد .

چاك : اذن ... تسمحين لى الآن أن أطلب يدك .

جويندولين : أظن أن هذه هى الفرصة الرائعة . ولكى أكفيك من الآن خشية احتمال الفشل مستر ورذنج ، أرى من العدل أن أخبرك بصريح العبارة

ومقـدما ، أننى مصممـة كل التصميم على أن أقبلك زوجا .

چاك : جويندولين !

جويندولين : نعم مستر ورذنج . ماذا تريد أن تقـول لى ؟

چاك : أنت تعرفين ما الذى أريد قوله لك .

جويندولين : نعم ولكنك لا تقوله .

چاك : جويندولين . هل تتزوجيننى ؟ (يركع على ركبـه)

جويندولين : طبعا . وانى لا محالة فاعلة يا حبيبى . لقـد أضعتَ وقتـا طويلا . أخشى أن تكون من قلة التجـربة بحيث لا تعرف كيف يكون التقـدم للخطبة .

چاك : يا حبيبتى الوحيدة . انى ما أحببت فى هذا العالم سواك .

جويندولين : أجل ولكن الرجال غالبا ما يتقدمون للخطبة على سبيل التمرين . أعلم أن أخى چيرالد يفعـل هذا . كل صديقاتى الفتيـات يقلن لى ذلك ؛ ما أبدع زرقـة عينيـك ايرنست ! انهـا زرقاوان — زرقاوان كـل الزرقة . أتمنى أن

نظـر الى هكذا دائمـا . ولا سيما فى حضره الآخرين .

(تدخل ليدى براكنل)

ليدى براكنل: مستر ورذنج ! انهض يا سيدى . دع هـذا الوضع المعيب . انك تصف مضطجع ، ممـا لا يتصوره العقل .

جويندولين : ماما ! (يحاول چاك أن ينهض فتثنيه عن ذلك) أتوسل اليك أن تنسحبى فليس لك مكان هنا . والى جانب ذلك فان مستر ورذنج لم ينته بعد

ليدى براكنل: ينتهى مم ؟ هل لى أن أسأل ؟

جويندولين : انى مخطـوبة لمستر ورذنج ماما (ينهضان معا)

ليدى براكنل: عفوا فما أنت بمخطوبة لأحد . عنـدما تصبحين مخطوبة لأى انسان ، فأنا ، أو والدك اذا كانت تسـمح له صحتـه ، سنخبرك بالأمر الواقع الفتاة الصغيرة يجب أن تفاجأ بخبر خطبتها سواء كانت المفاجأة تسرها أو لا تسرها. أيا كانت الحال: انه لمن غير الجائز أن يسمح لها بأن تتولى هى الأمر بنفسها .. والآن عندى قليل من الأسئلة أوجههـا اليك مستر ورذنج . وأثنـاء قيـامى

أنا باجـراء هـــذه التحريات ، تكونين أنت جويندولين فى انتظارى تحت فى العربة .

جويندولين : (فى مزيج من العتاب والاحتجاج) ماما !

ليدى براكنل: فى العربة جويندولين .

(تذهب جويندولين الى الباب . هى وچاك يتبادلان ارسال قبـــلات فى الهواء من وراء ظهر ليـــدى براكنل . ليدى براكنل تتلفت زائغة النظر وكأنها لم تفهم سر ما تسمع من أصوات . وأخيرا تستدير اليهما)

جويندولين ، الى العربة

جويندولين : سمعا ، ماما ..

(تخرج وهى تتلفت خلفها الى چاك)

ليدى براكنل: (جالسة) يمكنك أن تجلس مستر ورذنج (تبحث فى جيبها فتخرج مذكرة وقلما)

چاك : شكرا لك ليدى براكنل . انى أفضل أن أظـل واقفا .

ليدى براكنل: (المذكرة والقلم فى يدها) أرى لزاما على أن أخبرك بأنك لست مدرجا فى قائمتى ضمن الشـــبان الصـــالحين للزواج ، مع أن قائمتى هى نفس

القائمة التى تملكها دوقة « بولتن » العزيزة والواقع أننا نقوم معا بعمل تلك القائمة . وعلى كل حال ، فأنا على استعداد تام لادراج اسمك فى القائمة ، اذا ما كانت اجاباتك موافقة لما تتطلبه أم محبة لابنتها . هل تدخن ؟

چاك : آه نعم . يجب أن أقرر الحقيقة . انى أدخن .

ليدى براكنل : يسعدنى أن أسمع ذلك. فالرجل يجب ألا يكون عاطلا من الشغل أيا كان نوعه . كفى لندن اليوم ماتغص به من الرجال العاطلين . كم تبلـغ من العمر ؟

چاك : تسعة وعشرين .

ليدى براكنل : سن ملائمة جدا للزواج . كان من رأيى دائما أن الرجل الذى يبغى الزواج ، عليه أن يعرف كل شيء ، أو لا شيء . فأيهما تعرف أنت ؟

چاك : (بعد فترة تردد) أعرف لا شيء ليدى براكنل .

ليدى براكنل : أنا مسرورة لسماعى ذلك . انى لا أوافق على أن تشوب الجهل الخالص أية شائبة . فالجهل أشبه شيء بفاكهة رقيقة مستوردة . ان تمسها ذهبت

عنها نضارتها . ان نظريات التربية الحديثة جميعها فاسدة من أساسها . ومن حسن الحظ أن التعليم فى انجلترا على كل حال لا تأثير له . والا لكان خطرا داهما على الطبقات الراقية ، ولأدى غالبا الى ارتكاب أعمال العنف فى « جروزفنر سكوير » . كم دخلك ؟

چاك : ما بين السبعة والثمانية آلاف فى السنة .

ليدى براكنل: (تكتب ذلك فى مذكرتها) من الأرض ، أو من أموال مستثمرة ؟

چاك : فى الغالب من أموال مستثمرة .

ليدى براكنل: هذا شىء لا بأس به . فانه بين الضرائب المطلوبة من صاحب الأرض أثناء حياته ، ورسوم التركات المطلوبة بعد مماته ، لم تعد الأرض مصدر ربح أو مبعث سرور . انها تجعل لصاحبها جاها ، ولكنها لا تعينه على الاحتفاظ به . هذا كل ما يمكن أن يقال عن الأرض .

چاك : انى أمتلك بيتا ، وبالطبع قطعة من الأرض ملحقة به . نحو ألف وخمسمائة فدان على ما أعتقد .

على أن دخلى الحقيقى لا يعتمد البتة على ما تنتج تلك الأرض . فالراجح عندى على حسب تقديرى أن المتلصصين ممن يقتلعون الزرع ويقتاتون على الصيد ؛ هم وحدهم الذين يستفيدون من هذه الأرض .

ليدى براكنل: بيت ريفى تقول . ما عدد غرف النوم فيه ؛ هذه النقطة يمكن استجلاؤها على العموم فيما بعد . ولك بيت فى المدينة على ما أرجو ؟ ان فتاة مثل جويندولين فى رقة كيانها وسلامة طبيعتها ؛ من غير المعقول أن ينتظر منها سكنى الريف .

چاك : أجل ؛ انى أمتلك بيتا فى « بلجريف سكوير » ولكنه مؤجر سنويا لليدى بلكسهام . وبالطبع أستطيع استرجاعه فى أى وقت شاء ، اذا أنذرتها بذلك قبل انتهاء العقد بستة أشهر .

ليدى براكنل: ليدى بلكسهام ؛ لكنى لا أعرفها .

چاك : أوه ؛ انها قليلة الخروج وقلما تغشى المجتمعات . هى سيدة محترمة طاعنة فى السن .

ليدى براكنل: آه ... ليس هذا فى أيامنا عنوانا على استقامة

الحلق ، وضمانا لاستحقاق الاحترام . وما رقم البيت فى بلجريف سكوير ؟

چاك : ١٤٩

ليدى براكنل: (عاره رأسها) معنى ذلك أنه يقع فى الحى العبق الطراز . حسبت أننا وقعنا على شىء ذى قيمة . على أية حال ، ذلك مما لا يتعذر تغييره .

چاك : أتعنين الطراز ، أم الحى ؟

ليدى براكنل: (فى صرامة) الاثنين اذا لزم الأمر . وما هى عقائدك السياسية ؟

چاك : أخشى ألا يكون لى فى الواقع أية عقيدة سياسية. فما أنا الا من الاتحاديين الأحرار .

ليدى براكنل: انهم يعدون من المحافظين . وهم ممن يتناولون العشاء معنا . أو يزوروننا فى المساء على كل حال . والآن هلم الى المسائل الصغيرة . هل أبواك على قيد الحياة ؟

چاك : لقد فقدت أبوى كليهما .

ليدى براكنل: كليهما ؟ هذا أمر قد يدل على الاهمال . من كان والدك ؟ لا بد أنه كان على جانب من الثراء .

أو هل ولد — كما تعبر الصحف الراديكالية — وفى يده صولجان التجارة ؟ أم أنه من الطبقة الأرستقراطية ؟

چاك : أخالنى فى الحق لا أعرف . الواقع ليدى براكنل أننى قلت اننى فقدت والدى كليهما . ولعل الأقرب الى الصدق أن أقول ان والدى فقدانى . أنا بالفعل لا أعرف ابن من أكون . فأنا .... حسن .. قد عثر على .

ليدى براكنل: عثر عليك ؟

چاك : المغفور له مستر « توماس كاردو » ، وهو رجل شيخ نبيل يعمر قلبه احسان وعطف ، عثر على ومنحنى اسم « ورذنج » ؛ لأنه قد اتفق أن كانت بجيبه اذ ذاك تذكرة سفر بالدرجة الأولى الى ورذنج . ورذنج بلدة تقع فى مقاطعة سسكس . هى مصيف على البحر .

ليدى براكنل: وذلك السيد النبيل المحسن ، الذى كانت معه تذكرة السفر بالدرجة الأولى الى هذا المصيف على البحر ؛ أين عثر عليك ؟

چاك : (فى خطورة) فى حقيبة يد .

ليدى براكنل: فى حقيبة يد ؟

چاك : نعم ليدى براكنل ، كنت فى حقيبة يد ، حقيبة ضخمة بعض الشىء ، مصنوعة من جلد أسود ، وذات مقابض . حقيبة يد عادية .

ليدى براكنل: وفى أى مكان وقع مستر چيمز أو توماس كاردو ، على تلك الحقيبة العادية ؟

چاك : فى غرفة الأمانات بمحطة ڤكتوريا . كانت قد سلمت اليه خطأ على أنها حقيبته .

ليدى براكنل: غرفة الأمانات بمحطة ڤكتوريا ؟

چاك : أجل . خط « برايتن »

ليدى براكنل: الخط لا أهمية له مستر ورذنج . أعترف أننى أشعر بشىء من الحيرة والدهشة مما سمعته فى هذه اللحظة منك . ميلاد المرء أو على كل حال نشأته فى حقيبة يد — سواء كانت لها مقابض أو لم تكن لها مقابض — أمر على ما يبدو فيه مجاهرة باحتقار أبسط مصطلحات اللياقة فى الحياة العائلية . حتى ليذكرنا ذلك

بأسوأ ما ذهبت اليه الثورة الفرنسية من تطرف وخروج عن الحد . وما اخالك الا عارفا بما أفضت اليه تلك الثورة التعسة المنكودة . أما فيما يتعلق بالمكان المعين الذى وجدت فيه الحقيبة ، فان غرفة الأمانات بمحطة من محطات السكك الحديدية ، قد تصلح لاخفاء جريرة اجتماعية من جرائر عدم التبصر والحيطة ، ولطالما استخدمت لهذا الغرض من قبل ، الا أنها لا تكاد تعتبر صالحة كأساس مضمون لمكانة محترمة فى مجتمع راق .

چاك : هل لى أن أسألك اذن ، بماذا تنصحين لى أن أفعل ؟ لا أظننى بحاجة الى القول بأننى أفعل أى شىء فى الوجود لتأمين سعادة جويندولين .

ليدى براكنل: انى لأنصح لك فى شدة مستر ورذنج أن تحاول أن تجد لك قرابة من أى نوع بأسرع وقت ممكن . وأن تبذل جهدا كبيرا لتقدم على وجه من الوجوه ، أبا لك أو أما . وقبل انتهاء الموسم .

چاك : آه ، ولكنى لا أرى لى الى ذلك من سبيل . يمكننى أن أحضر الحقيبة فى أية لحظة . انها موجودة فى غرفة ملابسى بالبيت . فى الحق ، أعتقد أن فى ذلك الكفاية لارضائك ليدى براكنل .

ليدى براكنل: أنا يا سيدى ! وما شأنى بها ؟ ما أظنك تتخيل أننى ولورد براكنل يمكن أن يخطر ببالنا لحظة أن نسمح لابنتنا الوحيدة ، التى بذلت أقصى العناية فى تنشئتها ، أن تتزوج فى مخزن أمانات وتعقد زواجها على أحد الطرود . صبحت بالخير مستر ورذنج .

(ليدى براكنل تخرج فى خيلاء واستنكار)

چاك : صبحت بخير .

(الچيرنن ـ من الحجره الأخرى ـ يعزف نشيد الزفاف . چاك محتدم الهياج يذهب الى الباب ، يحدق السماء كف عن عزف هذا اللحن الجنائزى ، آلچى ما أشد سخفك .

(تتوقف الموسيقى . ويدخل الچيرنن

الچيرنن : ألم تسر الأمور علىّ ما يرام أيها الصديق العزيز ؟

أتريد أن تقول ان جويندولين قد رفضتك ؟ أعلم أن هذا من أساليبها . انها ترفض الناس دائما . أعتقد أن هذا من أسوأ طباعها .

جاك : أوه ! ان جويندولين ثابتة لا تنثنى . انها فيما يختص بها خطيبان . أما أمها فانها فى الحق لا تحتمل بالمرة . لم أقابل فى حياتى غولة مثلها . أنا فى الحقيقة لا أعرف على أية صورة تكون الغولة ، لكننى متأكد كل التأكد من أن ليدى براكنل هى من هذا القبيل . على كل حال ، هى من وحوش الأساطير دون أن تكون أسطورة ، وهذا ليس من العدل فى شىء . انى أرجو المعذرة آلجى . ما كان ينبغى لى أن أتحدث هكذا عن خالتك فى مواجهتك .

الجيرنن : يا فتاى العزيز . انه ليطيب لى الاستماع الى السباب يوجه الى أقاربى . انه الشىء الوحيد الذى يربطنى بهم . الأقرباء ، ان هم الا شرذمة مملة مزعجة من الناس . لا يدرون على الاطلاق كيف يحيون ، ولا يحسنون بغريزتهم أن يعرفوا متى يموتون .

چاك : أوه ، ذلك كلام فارغ

الچيرنن : انه ليس بالكلام الفارغ .

چاك : لست بمجادلك فى هذا الموضـــوع . انك على الدوام ، تريد المجادلة فى كل الأشياء .

الچيرنن : وهذا بعينه ما خلقت من أجله الأشياء .

چاك : وأيم الحـــق ، لو آمنت بذلك لرميت نفسى بالرصاص (فترة صمت) أوتظـن أن هنـــالك احتمالا لأن تصبح جويندولين شبيهـة بأمهـــا بعد ماية وخمسين سنة . أوتظن ذلك آلچى ؟

الچيرنن : كل النســـاء مصيرهن أن يشبهن أمهاتهن . تلك مأساتهن . وليس هذا مصـير الرجـل . وتلك مأساته .

چاك : أهذه براعة ؟

الچيرنن : انه لكلام بليغ . وهو صادق صدق أية ملاحظة يسمح بابدائها فى حياة اجتماعية متحضرة .

چاك : أكاد أموت ضيقا بتلك البـلاغة البارعـة . كل انسان بارع البلاغة فى هذه الأيام . لا يمكنـك

أن تمشي مكانا ما دون أن تلقى أولئك البلغاء الأذكياء . لقد أصبح هذا الأمر من المضايقات الشائعة والمقلقات . أتمنى على الله أن يكون قد بقى لدينا القليل من الحمقى الأغبياء .

الچيرنن : لدينا بحمد الله .

چاك : انى لشديد الشوق الى لقائهم . وعم تراهم يتحدثون ؟

الچيرنن : الحمقى الأغبياء ؟ أوه ! يتحدثون طبعا عن البلغاء الأذكياء .

چاك : ما أحمقهم وما أغباهم !

الچيرنن : على فكرة ، هل قلت لجويندولن الحقيقة فيما يتعلق بكونك ايرنست فى المدينة ، و چاك فى الريف ؟

چاك : (بطريقة تمم عن الترفع)يا صديقى العزيز ، ليست الحقيقة هى بعينها الشىء الذى يقال لفتاة فريفة حلوة مهذبة . ما أعجب ما عندك من آراء عن الطريقة المثلى للسلوك مع المرأة !

الچيرنن : طريقة السلوك الوحيدة تجاه المرأة ، هى أن

تطارحها الغرام ان كانت جميلة . أو أن تطارح الغرام غيرها ان كانت قبيحة .

چاك : أوه . كلام فارغ .

الچيرنن : وماذا عن أخيك ؟ ماذا عن ايرنست الفاسد الخليع ؟

چاك : أوه . لا ينتهى الأسبوع الا وأكون قد تخلصت منه . سأقول انه مات فى باريس نتيجة انفجار فى الأوعية الدموية بالمخ . كثيرون من الناس يموتون فجأة نتيجة لذلك . أليس كذلك ؟

الچيرنن : نعم ولكنه شىء ورائى يا فتاى العزيز . انه ذلك الشىء الذى ينفشى فى العائلات . من الأفضل أن تقول انه قد مات من نازلة برد شديدة اعترته .

چاك : أواثق أنت من أن نازلة البرد الشديدة ليست وراثية أو شيئا من هذا القبيل ؟

الچيرنن : بالطبع . انها ليست كذلك .

چاك : حسن جدا . اذن ... أخى المسكين ايرنست فقد

الحياة فى باريس من أثر نازلة برد شديده . ذلك ولا شك يخلصنى منه .

الچيرنن : ولكننى أذكر أنك قلت ... ان مس كاردو معجبة بأخيك المسكين ايرنست ؟ أو لن تتأثر تأثرا بالغا بفقده ؟

چاك : أوه شيء من ذلك . ليست سيسيلى بالفتاة العاطفية الخرقاء ، وانى لسعيد بذلك . ان لها قابلية كبرى لتذوق الحياة . انها تمشى المسافات الطوال ، ولا تعير دروسها أى التفات .

الچيرنن : تمنيت لو أتيح لى أن أرى سيسيلى .

چاك : سأحرص كل الحرص على ألا يحدث ذلك أبدا . انهما غاية فى الجمال ، ثم انها لم تتجاوز الثامنة

الچيرنن : أما أخبرت جويندولين بعد بأنك قيم على فساد صغيرة غاية فى الجمال ، لم تتجاوز الثامنة عشرة؟

چاك : أوه ، لا يذيع الانسان مثل هذه الأشياء على الناس . من المؤكد أن سيسيلى و جويندولين ستقوم بينهما صداقة عظيمة لا حُد لها . أراهنك

بأى شىء تريد ، على أنهما بعد نصف ساعة فقط من لقائهما ، ستدعو كل منهما الأخرى يا أختى .

الچيرنن : النساء لا يفعلن هذا الا بعد أن يكن قد تنادين أولا بأشياء أخرى كثيرة . والآن يا فتاى العزيز . اذا كنا نريد الحصول على مائدة ممتـــازة فى ويلز ، فمن واجبنـــا أن نبـــادر بارتداء ملابس السهرة . هل تعلم أن الساعة الآن الســـابعة تقريبا ؟

چاك : (فى احتداد) أوه ، انها دائما السابعة تقريبا .

الچيرنن : حسن . انى جائع .

چاك : ما عهدتك يوما الا كذلك .

الچيرنن : وماذا سنفعل بعد العشاء ؟ أنذهب الى أحـــد المسارح ؟

چاك : أوه ،كلا ، انى أكره الانصات .

الچيرنن : أنذهب الى النادى اذن ؟

چاك : أوه ، كلا ، انى أكره التكلم .

الچيرنن : حسن ، بوسعنا أن نتمشى حتى « الامبير » فى الساعة العاشرة .

چاك : أود ، كلا ، فما أطيق اجالة البصر فى الأشياء ، فذلك حمق أى حمق .

الچيرنن : فماذا نحن صانعان اذن ؟

چاك : لا شيء .

الچيرنن : انه لمن أشق الأشغال الشاقة ، ألا يصنع المرء شيئا . بيد أننى أرتضى الأشغال الشاقة ، اذا كان لا يوجد شيء معين أعمله .

(يدخل لين)

لين : مس فيرفاكس .

(تدخل جويندولين . يخرج لين)

الچيرنن : جويندولين ، وأيم الحق !

جويندولين : آلچى . تكرم وأولنا ظهرك . لدى شيء خاص جدا أريد أن أقوله لمستر ورذنج .

الچيرنن : فى الحقيقة جويندولين ، ما أظننى أستطيع أن أسمح بهذا مطلقا .

جويندولين : آلچى . انك دائما تنظر الى الحياة نظرة غير أخلاقية . انك لم تبلغ بعد من الكبر ما يجعلك تنظر تلك النظرة .

(الچيرنن ينسحب ذاهبا الى المدفأة)

چاك : يا حبيبتى !

جويندولين : ايرنست . قد لا يتم زواجنا . ان ما آنسته على وجه ماما من تعبير ، يجعلنى أخشى ذلك . قليلون من الوالدين فى هذه الأيام ، من يحفلون بما يقوله لهم أبناؤهم . ان رعاية الصغار أصبحت تقليدا باليا على وشك الزوال . ان كل ما كان لى من تأثير على ماما ، فقدته تماما بمجرد بلوغى الثالثة . ولكن ان جاز أن تمنعنا ماما من أن نصبح زوجا وزوجة ، وان جاز أن أتزوج أنا من شخص آخر ، وغالبا ما سيحدث ذلك ، فاننى — مهما أمكن ماما أن تفعل — لن تتغير عبادتى الخالدة لك ، وما أكنه من التفانى فى حبك .

چاك : أيتها العزيزة جويندولين .

جويندولين : ان قصة ميلادك الرومانتيكية الرائعة ، والتى روتها لى ماما مشفوعة بتعليقاتها التى لا تنثر ، قد استجاشت وجدانى ، وهزت أعماق كيانى . ان لاسمك الصغير سحرا لا يقاوم . ان البساطة التى تتسم بها طبيعتك ، لتجعل لى منك لغزا

شيق الغموض . عندى عنوانك بالمدينة « ذى ألبانى » فما عنوانك بالريف ؟

چاك : ذى مانور هاوس ، وولنن ، هيرتفورد شاير .

(الچيرنن الذى كان طوال ذلك منهمكا بامعان يبتسم لنفسه ويكتب العنوان على أسورة قميصه . ثم يتناول دليل السكك الحديدية)

جويندولين : هناك خدمة بريد منتظمة على ما أعتقد ، فلقد يستلزم الأمر القيام بمحاولة يائسة حاسمة سيحتاج ذلك بالطبع الى روية وتدبير . سأتصل بك يوميا .

چاك : يا حبيبتى الوحيدة !

جويندولين : الى متى ستظل فى المدينة ؟

چاك : الى يوم الاثنين .

جويندولين : هذا حسن . آلچى ، يمكنك أن تستدير الينا الآن .

الچيرنن : شكرا كثيرا . لقد استدرت بالفعل .

جويندولين : يمكنك كذلك أن تدق الجرس .

چاك : ستسمحين لى أن أصحبك الى عربتك يا حبيبتى؟

جويندولين : بكل تأكيد .

چاك : (الى لين الذى يدخل الآن) سأصحب أنا مس فيرفاكس الى الخارج .

لين : أمرك يا سيدى .

(چاك وجويندولين يخرجان)
(لين يقدم الى الچيرنن رسائل محمولة على صينية . يوحى اليها أنها فواتير حساب مستحقة الدفع « فواتير » . اذ ترى الچيرنن يمزقها بعد ان ينظر الى الظروف)

الچيرنن : ناولنى كأسا من الشرى يالين .

لين : طوعا يا سيدى .

الچيرنن : غدا يا لين ، سأخرج للتبنبر .

لين : نعم يا سيدى .

الچيرنن : من المحتمل ألا أعود قبل يوم الاثنين . تستطيع أن تعد ملابسى : سترة السهرة ، وجميع البدل الخاصة بالتبنبر .

لين : أمرك يا سيدى (مقدما اليه الشيرى)

الچيرنن : أتعشم أن يكون الغد يوما لطيفا ، لين .

لين : انه لا يكون كذلك أبدا يا سيدى .

الچيرنن : لين ، كم أنت متشائم .

لين : اننى أبذل مافى وسعى ابتغاء مرضاتك يا سيدى.

(يدخل چاك ويخرج لين)

چاك : تلك فتاة تفيض حساسية وزكانة . انها وحدها أول فتاة فى حياتى تستحوذ على اهتمامى .

(الچيرنن يستغرق فى الضحك)

أى شىء بالله عليك يستخفك الى هذا الضحك ؟

الچيرنن : آوه . انى أشعر بشىء من القلق على المسكين بنبورى . هذا كل مافى الأمر .

چاك : ان لم تكن حذرا ، فسيجىء يوم يجر فيه عليك صديقك بنبرى متاعب لا قبل لك بها .

الچيرنن : انى أحب المتاعب . فهى الأشياء الوحيدة غير الخطرة .

چاك : أوه . هذا كلام فارغ آلچي . انك لا تقول الا الكلام الفارغ .

الچيرنن : مثل سائر الناس

(چاك ينظر اليه محنقا ويخرج من الغرفة . الچيرنن يشعل سيجارة ثم يقرأ ما كتب على أسورة قميصه ويبتسم)

(ستار)

الفصل الثانى

المنظر

(حديقة « المانورهاوس » . درج من الحجر الرمادى يؤدى الى البيت ... الحديقة على طراز قديم وحافلة بالورود . الوقت فى ابان شهر يوليو . كراسى من الخوص ومنضدة تغطيها الكتب ، موضوعة تحت دوحـــة من شجر السدر الجبلى)

مس پرزم : (مناديا) سيسيلى ؛ سيسيلى ! ان عملا من الأعمال النافعة مثـــل رى الزهور هو أجدر بواجبـــات « ماولتن » وأدخل فى اختصـــاصه . ولا سيما حين تكون فى انتظارك متع فكرية . هو ذا كتابك فى الأجرومية الألمانية على المنضدة . أرجو أن تفتحيه فى الصفحة الخامســـة عشرة ، سنعيد درس الأمس .

سيسيلى : (تتقدم فى تباطؤ شديد) ولكنى لا أحب الألمانية . انها لغة غير مناسبة على الاطلاق . أعلم تمـام العلم أنى أبدو خالية من الحسن عقب كل درس فى الألمانية .

مس برزم : أيتها الطفلة . انك تعلمين مبلغ اهتمام وصيك بأن تزدادى تقدما فى كل الوجود . لقد أظهر اهتمامه الخاص بدراستك للألمانية ساعة أن كان راحلا الى المدينة بالأمس . حقا انه دائما مايبدى ذلك الاهتمام الخاص فى كل مرة يكون راحلا الى المدينة .

سيسيلى : العم العزيز چاك مغرق فى الجد . ان اغراقه فى الجد ليدعونى فى بعض الأحيان الى الاعتقاد بأنه لا يمكن أن يكون فى تمام الصحة والعافية.

مس برزم :(تتنرئب فى جلستها) بل ان وصيك ليتمتع بأحسن صحة . وان التزامه الوقار لمن أخص ما يحمد لمن كان فى مثل شبابه . لم أر قط أحدا أسمى منه احساسا بالواجب والمسئولية .

سيسيلى : يخيل لى أن هذا هو علة ما يبدو عليه من ملالة وضيق كلما اجتمعنا نحن الثلاثة .

مس برزم : سيسيلى انك لتدهشيننى . ان فى حياة مستر ورذنج متاعب جمة ، فلا مكان فى محادثاته

للهذر العقيم والعبث الباطل ... يجب أن تذكرى قلقه الدائم على ذلك الشاب التعس الذى هو أخوه .

سيسيلى : تمنيت لو سمح العم چاك لذلك الشاب التعس الذى هو أخوه أن يتردد علينا بين حين وآخر . فلربما يكون لنا عليه تأثير حسن مس پرزم . أنا واثقة من أنه سيكون لك أنت ذلك التأثير . أنت تعرفين الألمانية وعلم طبقات الأرض ، ولمثل هذه الأشياء تأثير عميق فى الرجل .

(سيسيلى تبدأ الكتابة فى دفتر يومياتها)

مس پرزم : (هازة راسها)لا أظننى أستطيع أن يكون لى أثر حتى فى شخص يسلم أخوه نفسه بأن لا علاج لما هو عليه من وهن وتردد . والواقع أننى لست واثقة من أن بى رغبة فى اصلاحه . انى لا أحبذ هوس أبناء هذا العصر فى نزوعهم لتحويل الطالحين الى صالحين فى طرفة عين بمجرد الاخطار . على المرء أن يحصد ثمار ما بذر . سيسيلى ، ينبغى أن تنحى دفتر يومياتك جانبا .

فى الحق أنى لا أرى موجبـا لاستعمالك دفتر يوميات على الاطلاق .

سيسيلى : انى أستعمل دفتر اليوميـات لأسجـل روائع أسرار حياتى . اذا لم أسجلها بكتابتهـا ، فمن المحتمل جدا أن أنسى كل شىء عنها .

مس برزم : الذاكرة يا عزيزتى سيسيلى هى دفتر اليوميات الذى نحمله معنا على الدوام .

سيسيلى : نعم ولكن الذاكرة انما تسجل فى العادة الأشياء التى لم تحـــدث أبدا ولم يكن فى الامـكان حدوثها . أعتقـد أن الذاكرة هى المسئولة عن اختلاق جل ما تحويه القصص المثلثة الأجـزاء تلك التى ترسلها لنا « مودى »

مس برزم : لا تتكلمى باستخفاف عن القصص ذات الأجزاء الثلاثة يا سيسيلى فلقد كتبت واحدة منهـا فى مستهل حياتى .

سيسيلى : حقيقـــة فعلت ذلك مس برزم ، انهـا براعة منك رائعة . أرجو ألا تكونى قد أنهيتها نهاية سعيدة . انى لا أحب القصص ذوات الخواتيم

السعيدة . انها تغمنى وينقبض لها صدرى .
نهاية الخير الانتصار : ونهاية الشر الاندحار .
ذلك فى القصة أساس الابتكار .

سيسيلى : أعتقد ذلك . على أنه أمر ليس فيه أدنى انصاف للواقع . أترى قد نشرت قصتك ؟

مس برزم : لا ويا للأسف ! فأصلها المخطوط كان نصيبه الاهمال لسوء الحظ (سيسيلى تدهش) أقصد باهماله أنه فقد أو وضع فى غير مكانه . والآن يا بنيتى الى عملك . ان هذه التأملات لا طائل تحتها .

سيسيلى : (مبتسمة) لكنى أرى دكتور « تشوزيبل » قادما عبر الحديقة .

مس برزم : (باعصة ومعدمة) دكتور « تشوزيبل » ! انه لسرور عظيم لنا .

(يدخل « كانون تشوزيبل »)

تشوزيبل : كيف أصبحنا يا ترى ؟ مس برزم ، أنا واثق من أنك على ما يرام .

سيسيلى : كانت مس برزم تشكو الآن صداعا خفيفا .

أظن أنه مما ينفعها كثيرا أن تتمشى معك قليلا فى الحديقة دكتور تشوزيبل .

مس برزم : سيسيلى أنا لم أذكر أى شىء عن الصداع .

سيسيل : لا يا عزيزتى مس برزم ، أعرف ذلك . ولكنى شعرت بالسليقة أن بك صداعا لا محالة . والواقع أننى كنت منشغلة بذلك عن درسى فى الألمانية عندما دخل علينا السيد القس .

تشوزيبل : أتعشم سيسيلى ألا تكونى غافلة عما تقولين الى هذا الحد .

سيسلى : آوه أخشى أن أكون كذلك .

تشوزيبل : هذا غريب . لو ان الحظ قد أسعفنى بأن أكون تلميذا لمس برزم ، لتعلقت بشفتيها (مس بريزم تحملق محمرة) انى تكلمت على سبيل المجاز . استعرت مجازى من النحل . احم ! مستر ورذنج — فيما أظن — لم يعد بعد من المدينة ؟

مس برزم : نحن لا نتوقع عودته قبل ظهر الاثنين القادم .

تشوزيبل : آه نعم ؛ انه عادة يحب قضاء أيام الآحاد فى

لندن . انه ليس من أولئك الذين ينحصر همهم في الاستمتاع مثل أخيه ، ذلك الشاب النعس الذى ينطبق عليه الوصف من كل الوجوه .

- ولكن أرى من واجبى ألا أزعج « اجيريا » وتلميذتها أكثر من ذلك .

مس برزم : « اجيريا » ؟ ان اسمى هو « لايتيتيا » يا دكتور.

تشوزيبل : (محنيا)مجرد كنية قديمة مستعارة من الكتاب الوثنيين . سأراكما فى الكنيسة معا ولا شك فى صلاة المساء .

مس بريزم : أحسبنى يا عزيزى الدكتور سأتمشى معك قليلا. لقد تبين لى أن بى صداعا على كل حال . وقد يكون فى المشى شفاء منه .

تشوزيبل : بكل سرور مس برزم بكل سرور . بوسعنا أن نتمشى حتى المدارس ثم نعود .

مس برزم : سيكون فى هذا غاية البهجة . سيسيلى ستقرأين درسك فى الاقتصاد السياسى أثناء غيابى . يمكنك أن تضربى صفحا عن الفصل الخاص بتدهور سعر الروبية . فان به شيئا يثير

المشاعر . حتى هذه الألغاز المعدنية من العملات لها جانبها الميلودرامى .

(تنزل الى الحديقة مع دكتور تشوزيبل)

سيسيلى : (تتناول كتبا وتعود فتلقى بها على المنضدة) تبا للاقتصاد السياسى ، تبا للجغرافيا ، تبا وتبا للغة الألمانية .

(يدخل ، ميريمان ، ومعه بطاقة على الصينية)

ميريمان : مستر ايرنست ورذنج قـــد وصل توا فادما فى عربة من المحطة . ولقد أحضر معه أمتعته .

سيسيلى : (تتناول البطاقة وتقرأها) مستر ايرنست ورذنج فور ، ذى ألبانى ، دبليو . انه شقيق العم چاك ! هل أخبرته بأن مستر ورذنج فى المدينة ؟

ميريمان : نعم يا آنسة . ولقد بدا عليه الكثير من خيبـة الأمل . لقـد أعلمته أنك ومس پرزم موجودتان بالحديقة ، فقال انه كان مشوقا الى التحـدث معك برهة على حدة .

سيسيلى : ادع مستر ايرنست ورذنج للحضـور هنـا . ومن المستحسن فيما أرى أن تبلـغ مدبر البيت ليعد له غرفة .

ميريمان : نعم يا آنسة (يخرج ميريمان)

سيسيلى : لم يتفق لى أن قابلت شخصا شريرا بمعنى الكلمة . أحس بشيء من الفزع . انى لأخشى أن يكون مظهره كمظهر أى شخص آخر .

(يدخل الچيرنن منبسط النفس طروبا)

انه كذلك !

الچيرنن : (رافعا قبعته) لا بد وأنك ابنة عمى الصغيرة .

سيسيلى : لا شك أنك وقعت فى خطأ . فما أنا بصغيرة . أعتقد أننى فى الواقع أطول من المعتاد بالنسبة الى سنى .

(ألچيرنن فى عمرة من الدهشة)

ولكننى ابنة عمك سيسيلى ؛ وأنت كما تدلنى بطاقتك ، ابن عمى ايرنست ، ابن عمى الشرير ايرنست .

الچيرنن : أود ! فى الحق أنى لست شريرا على الاطلاق يا ابنة عمى سيسيلى . يجب ألا تعتقدى أننى شرير .

سيسيلى : اذا لم تكن شريرا ، فأنت اذن وبكل تأكيد ، قد كنت دائبا على غشنا جميعا بطريقة لا وجه للعذر فيها . أتعشم أنك لم تكن تحيا حياة مزدوجة ، متظاهرا بأنك شرير على حين كنت رجل خير طوال الوقت . ان ذلك يكون رياء منك ونفاقا .

الچيرنن : (ينظر اليها فى دهشة) أود ! كنت فى ذلك بالطبع مستهترا عديم التبصر .

سيسيلى : يسعدنى أن أسمع ذلك منك .

الچيرنن : الآن وقد فاتحتنى فى الأمر ، أقول انى حقا كنت بالغ السوء فى مسلكى الصغير الخاص .

سيسيلى : لا أعتقد أن لك أن تفاخر بذلك . بيد أننى واثقة من أن هذا التظاهر كان ممتعا للغاية .

الچيرنن : ولكن الأمتع منه وجودى هنا معك .

سيسيلى : انى لست أدرى على الاطلاق كيف تكون هنا والعم چاك لن يعود قبل عصر يوم الاثنين القادم.

الچيرنن : انها لخيبة أمل عظيمة . انى مضطر الى الرحيل فى أول قطار صباح الاثنين . انى مرتبط بموعد عمل ، وددت لو أخلفته .

سيسيلى : أولا تستطيع أن تخلفه الا وأنت فى لندن ؟

الچيرنن : لا ... فالموعد فى لندن .

سيسيلى : حسن . انى أعرف بالطبع مدى أهميـــة عدم المحافظة على موعد خاص بالعمل ، اذا ما أراد الانسان الاحتفاظ بمعنى من معانى جمـــال الحياة . ولكنى مازلت أعتقد انه من الأجدر بك أن تنتظر حتى يصل العم چاك . أعلم أنه يريد التحدث اليك فى أمر هجرتك .

الچيرنن : فى أمر ماذا ؟

سيسيلى : فى أمر هجرتك . لقد ذهب الى المدينة ليشترى لوازمك .

الچيرنن : ماكنت لأسمح لچاك أن يشترى لى لوازمى بكل تأكيد ، فليس له أى ذوق فى انتقاء أربطة العنق.

سيسيلى : لا أظن أنك ستكون بحاجة الى أربطة العنق ، فالعم چاك سيبعث بك الى أوستراليا .

الچيرنن : أوستراليا ! الموت أحب الى .

سيسيلى : حسن . لقد قال أثناء تناولنا العشاء ليلة الأربعاء،

ان عليك أن تختار واحدة من ثلاث . فاما هذه الدنيا ، واما الآخرة ، واما استراليا .

الچيرنن : أوه ، حسن . ان البيانات التى جاءتنى عن الآخرة وأوستراليا غير مشجعة . انى قانع بهذه الدنيا يا ابنة عمى سيسيلى .

سيسيلى : نعم ولكن هل أنت أهل لها ؟

الچيرنن : أخشى أننى لست كذلك . ولهذا أريد أن تتولى اصلاحى . يمكنك أن تجعلى ذلك رسالتك فى الحياة ، ان لم يكن لديك مانع يا ابنة عمى سيسيلى .

سيسيلى : أخشى ألا يكون لدى وقت لذلك عصر اليوم .

الچيرنن : حسن ... أعندك مانع فى أن أقوم أنا باصلاح نفسى عصر هذا اليوم ؟

سيسيلى : انك فى هذا أشبه بدون كيشوت . على أننى أرى من واجبك أن تحاول .

الچيرنن : سأفعل . وانى لأحس أننى قد تحسنت فعلا .

سيسيلى : بل يبدو عليك أنك أسوأ قليلا عن ذى قبل .

الچيرنن : ذلك لأننى جائع .

سيسيلى : ما أشد غفلتى . كان على أن أذكر أن من يكون مقبلا على حياة جديدة كل الجدة ، يكون فى أمس الحاجة الى وجبات صحية ومنتظمـــة . ألا تدخل ؟

الچيرنن : شكرا لك . هل لى أولا أن آخـذ زهرة لعروة سترتى ؟ ان شهية الطعام عندى رهن بوضـع زهرة فى عروة سترتى

سيسيلى : ماريشال نيل ؟ (تلتقط مقصا)

الچيرنن : كلا . بودى لو أسعفنى الحظ بوردة مشرقـة الحمرة .

سيسيلى : لمـاذا ؟ (تقطع زهرة)

الچيرنن : لأنك شبيهتها يا سيسيلى يا ابنة العم .

سيسيلى : ما أظنك على صواب فى أن تكلمنى على هـذا النحو . ان مس پرزم لا تكلمنى قط مثـل هذا الكلام .

الچيرنن : اذن فالآنسة پرزم سيدة عجوز قصيرة النظر .

(تضـع سيسيلى الزهرة فى عروة سـترته)

انك لأجمل فتاة رأيتها فى حياتى .

سيسيل : تقول مس برزم ان المحاسن شرك .

الچيرنن : وانها للشرك الذى يتمنى كل ذى حس أن يقع فيه .

سيسيل : أوه . ليس المهم عندى أن يكون الرجل الذى يقع فى شركى عاقلا . فانى لا أعرف أى حديث أتحدث اليه

(يدلفان الى البيت . مس برزم ودكتور تشوزيبل يعودان)

مس برزم : انك لفى وحدة شديدة دكتور تشوزيبل . كان يجب عليك أن تتزوج . لو أنك من كارهى المجتمع لكان ذلك مفهوما ، أما أن تكره النساء فغير مفهوم البتة .

تشوزيبل : (يجعل فى استنكار العالم الفقيه) صدقينى ، اننى لا أستحق مثل هذا الأسلوب التجديدى . فلقد كانت الكنيسة القديمة ضد الزواج علما وعملا.

مس برزم : (بلهجة أصحاب الحكم) ولهذا السبب المبين لم تعمر الكنيسة القديمة حتى يومنا الحاضر . وفيما يظهر يا عزيزى الدكتور ، أنه يغيب عنك أن

الرجل باصراره على حياة العزوبة ، انما يجعل من نفسه غواية عامة . يجب أن يكون الرجال أكثر حيطة ، فان فى عزوبتهم ما يجذب الجنس الأضعف الى أن يضل سواء السبيل .

تشوزيبل : ولكن ، أولا تكون للرجل المتزوج مثل هذه الجاذبية ؟

مس پرزم : ما من رجل متزوج تكون فيه جاذبية الا لزوجته.

تشوزيبل : وفى أكثر الأحيان كما قيل لى ، لا تكون له جاذبية حتى ولا لزوجته .

مس پرزم : هذا يتوقف على ما يكون عند المرأة من التجاوب الذهنى . ان بلوغ المرأة اكتمالها يمكن الاعتماد عليه دائما . المرأة الناضجة يمكن الوثوق بها . أما شابات النساء فهن كالثمرة الفجة .

(دكتور تشوزيبل يؤخذ)

انى أتكلم بأسلوب علم فلاحة البساتين . ومجازى قد استعرته من الثمار . لكن أين سيسيلى ؟

تشوزيبل : لعلها قد تبعتنا على طريق المدارس .

(يدخل چاك من مؤخرة الحديقة متباطئا ، وهو غارق فى ثياب الحداد السود ، وحول قبعته شريط أسود ، وقفازه كذلك أسود)

مس برزم : مستر ورذنج ؟

تشوزيبل : مستر ورذنج !

مس برزم : انها فى الواقع لمفاجأة . ما كنا لنتوقع عودتك قبل عصر يوم الاثنين .

چاك : (يصافح مس برزم وهو يهز يدها على طريقة أبطال المآسى المسرحية)

لقد عدت بأسرع مما كنت أتوقع . دكتور تشوزيبل ، أرجو أن تكون بخير .

تشوزيبل : مستر ورذنج العزيز . آمل ألا تكون حلة الحزن هذه نذير نكبة نكباء .

چاك : آخى ..

مس برزم : أمزيد من الديون الشائنة وفرط التبذير ؟

تشوزيبل : أما يزال سادرا فى حياة اللهو والملذات ؟

چاك : (هازا رأسه) لقد مات ...

تشوزيبل : أخوك ايرنست مات ؟

چاك : مات تماما .

مس پرزم : ان فى ذلك لعبرة آمل أن ينتفع بها .

تشوزيبل : مستر « ورذنج » ، انى لأقدم لك أصدق التعازى . ليكن عزاءك على الأقل علمك أنك كنت أكرم الاخوة وأكثرهم تسامحا .

چاك : ايرنست المسكين . كانت له عيوب كثيرة ، ولكن فقدانه صدمة ، صدمة أليمة .

تشوزيبل : حقا أليمة جدا . هل كنت الى جانبه فى لحظاته الأخيرة ؟

چاك : لا . لقد مات فى الخارج . فى باريس على وجه التحديد . تلقيت برقية بذلك من مدير فندق « جراند أوتيل » .

تشوزيبل : أجاء بها سبب الوفاة ؟

چاك : نازلة برد حادة على ما يبدو .

مس پرزم : كما تزرع تحصد .

تشوزيبل : (رافعا يده) الرحمة يا عزيزتى مس پرزم ، الرحمة ! ليس فينا من بلغ الكمال ، فأنا نفسى

عندى استعداد بصفة خاصة للتأثر من التيارات.
وهل سيكون دفنه هنا ؟

چاك : لا . يظهر أنه أوصى بأن يدفن فى باريس .

تشوزيبل : فى باريس (يهز رأسه) اخشى ألا يكون فى ذلك ما يدل على استقامة نفسه حتى فى النهاية . ما أحسبك الا راغبا ولا شك ، فى أن أشير اشارة عابرة ، الى هذه المحنة العائلية المفجعة يوم الأحد القـادم . (يضغط چاك يده فى شبه تشنج) ان موعظتى عن نزول المن فى الصحـراء يمكن دائما جعلها صالحة لأية مناسبة ؛ سعيدة كانت أو فاجعة كالمناسبة الحاضرة (الجميع ينهدون) لقد ألقيت هذه الموعظة فى احتفالات الحصاد ، والتعميد ، والتثبيت ، وفى أيام الآلام والأعياد . آخر مرة ألقيتها ، كانت فى الكاتدرائية للحض على الاحسان لصالح جماعة مكافحة البطر بين الطبقات الراقية . لقـد أخذت الأسقف الذى كان حاضرا ، ببعض ما استنبطته من الأقيسـة والتشابيه .

چاك : آه ، لقـد ذكرتنى ، انك ذكرت التعميـد على ما أظن دكتور تشوزيبل ؟ أعتقـد أنك تحسن التعميد (دكتور تشوزيبل يحملق منذعلا) اننى أعنى بالطبع ، أنك تقوم بالتعميد بصفة مستمرة. أليس كذلك ؟

مس پرزم : ان تعميد المواليد ، مع الأسف ، من الأعمـال التى لا ينقطـع القس عن ممارستها فى دائرته الكنسية . لطالما تكلمت فى هذا الموضـوع مع الطبقات الفقيرة . ولكن الظاهر أنهم لا يعرفون معنى الاقتصاد فى هذا الأمر .

تشوزيبل : لكن هل هناك مولود معين أنت معنى به مستر ورذنج ؟ كان أخوك — على ما أعتقد — غير متزوج . أليس كذلك ؟

چاك : أوه ، نعم .

مس پرزم : (بمرارة) ان الناس الذين وهبوا حياتهم للمسرات، هم عادة غير متزوجين .

چاك : ولكن الأمر لا يتعلق بطفل من الأطفال أيهـا

الدكتور العزيز . أنا شديد الولع بالأطفال - ولكن ، الواقع أننى أنا نفسى الذى أريد أن أعمد عصر هذا اليوم ، ان لم يكن لديك عمل خير من هذا .

تشوزيبل : ولكن من المؤكد مستر ورذنج أنك قد سبق لك أن عمدت ؟

چاك : لست أذكر عن ذلك شيئا .

تشوزيبل : ولكن هل لديك فى الموضوع شكوك ذات شأن ؟

چاك : ذلك فى نيتى بالتأكيد . أنا بالطبع لا أعرف ان كان ذلك يضايقك بحال من الأحوال ، أو أنك تعتبرنى قد جاوزت السن قليلا .

تشوزيبل : كلا ، على الاطلاق . ان الرش بالماء أو فى الواقع الغطاس للبالغين الراشدين ، لمن المراسم الشرعية التى تباشرها الكنيسة .

چاك : الغطاس ؟

تشوزيبل : لا محل لمخاوفك . الرش يكفى . أو هو فى الحق ما يجدر عمله على ما أعتقد . فان الجو هنا غاية

فى التقلب . فى أية ساعة تريد اجراء هذا الرسم الدينى ؟

چاك : أود ، يمكننى أن أدلف اليك فى نحو الساعة الخامسة ان كان هذا يناسبك .

تشوزيبل : كل المناسبة ... الواقع أن لدى من هذا النوع احتفالين فى الموعد نفسه . تعميد توأمين ولدا حديثا بأحد الأكواخ فى أطراف عقارك . يا لوالدهما المسكين « چينكز » . انه حمال من أكدح الكادحين .

چاك : أوه ! ما أظننى واجدا سرورا بالغا فى اجراء مراسم تعميدى مع أطفال آخرين . سيكون هذا طفولة منى . هل يناسبك مجيئى فى الساعة الخامسة والنصف ؟

تشوزيبل : بديع ، بديع جداً (يخرج ساعه) والآن مستر ورذنج العزيز ، لا أريد أن أمعن أكثر من هذا فى موضوع مصابكم الأليم . وكل الذى أرجوه منك ، هو ألا تستسلم للأسى حتى ينوء به كاهلك . فان ما يبدو لنا نقمة ، قد يكون نعمة فى أكثر الأحيان .

مس پرزم : بل انها فى رأيى نعمة من النعم المبينة الكبرى .

(تدخل سيسيلى من البيت)

سيسيلى : العم چاك ! أوه . يسعدنى أنك قد عدت . ولكن يا للثياب المنكرة التى تلبسها ! أرجو أن تذهب فتغيرها على الفور .

مس پرزم : سيسيلى .

تشوزيل : يا بنيتى . يا بنيتى .

(سيسيلى تذهب الى چاك فيطبع قبلة على جبينها ، محتفظا بمظهره الحزين)

سيسيلى : ماذا حدث أيها العم چاك ؟ أرجو أن تبدو سعيدا . انك تبدو كما لو كنت تعانى من ألم فى أسنانك . ثم انى أدخر لك مفاجأة . من ذا تظنه بداخل حجرة الطعام ؟ انه أخوك !

چاك : من ؟

سيسيلى : أخوك ايرنست . لقد وصل منذ حوالى نصف ساعة مضت .

چاك : أى عبث ؟ ليس لى أخ .

سيسيلى : أوه . لا تقل ذلك . مهما يكن من سوء تصرفه معك فى الماضى ، فانه ما برح أخاك . لا يمكن أن تكون عديم القلب الى حد انكارك اياه وتبرئك منه . سأطلب اليه أن يخرج اليك ـ لسوف تصافحه . أليس كذلك أيها العم چاك ؟

(تجرى عائدة الى داخل البيت)

تشوزيبل : تلك لعمرى بشائر سارة .

مس پرزم : بعد اذعاننا جميعا لفقدانه ، لا شك أن عودته المفاجئة تبدو لى على وجه الخصوص أمرا مزعجا .

چاك : أخى فى غرفة الطعام ؟ لا أدرى ماذا يعنى كل هذا ! أعتقد أنه أمر غير معقول بالمرة .

(يدخل الچيرنن وسيسيلى يدا فى يد ، ويقبلان متباطئين على چاك)

يا أرحم الراحمين ! (يدفع الچيرنن الى الخارج)

الچيرنن : أخى چون . لقد أسرعت اليك من المدينة لأخبرك أننى آسف أشد الأسف على جميع المتاعب التى جررتها عليك ، وأننى قد صحت

نيتى على أن أحيا حياة أفضل فى المستقبل .

(چاك يحملق فيه ولايمد اليه يدا)

سيسيلى : أيها العم چاك . ما أظنك رافضا يد أخيك ؟

چاك : لن يحملنى شىء على وضع يدى فى يده . انى أعتبر مجيئه الى هنا عملا شائنا . انه يعلم جيدا سبب ذلك .

سيسيلى : أيها العم چاك ، أرجو أن تكون أرق حاشية من ذلك . ان فى كل انسان بعض الخير . منذ قليل كان ايرنست يقص على قصة صديقه المريض المسكين مستر بنبرى الذى يعوده كثيرا . وما من شك فى عظم الخير عند من يحنو على مريض ، ويحرم نفسه من مسرات لندن وملاهيها ، ليجلس عند فراش ذلك العانى المعذب .

چاك : أوه ! كان يكلمك عن بنبرى ، أليس كذلك ؟

سيسيلى : نعم . لقد أخبرنى بكل ما يتعلق بالمستر بنبرى المسكين وحالته الصحية البالغة السوء .

چاك : بنبرى ! حسن . أنا لا أريد أن يتحدث اليك

لا عن بنبرى ولا عن أى شيء آخر . ان فى هذا ما يكفى لاثارة الانسان واخراجه عن صوابه .

الچيرنن : انى بالطبع أسلم بأن كل ما كان من خطأ فهو واقع على عاتقى . ولكن مع هذا أرانى مضطرا الى القول بأننى أعتبر أن الفتور الذى يلقانى به أخى چون مؤلم أشد الألم . اننى كنت أتوقع ترحيبا أكثر حرارة ، لا سيما وأنها المرة الأولى التى آتى فيها هنا .

سيسيل : أيهـــا العم چاك . ان لم تصـــافح ايرنست ، فلن أغفر لك أبدا .

چاك : لن تغفرى لى ؟

سيسيل : أبدا ! أبدا ! أبدا !

چاك : حسن . لتكن آخر مرة أفعل فيها هذا .

(يصافح الچيرنن ويحملق فى غضب)

تشوزيبل : انه لمما يبعث فى النفس الرضـــا والسرور ، أن يشهد الانسان مثل هذا التصافى والوفاق التام . أليس كذلك ؟ أعتقد أن من الأفضل أن تترك الأخوين معا .

مس برزم : سيسيلى . ستأتين معنا .

سيسيلى : بالتأكيد مس برزم . لقد قمت بنصيبى المتواضع فى السعى لاتمام هذا الصلح .

تشوزيبل : لقد قمت اليوم بعمل جليل يا بنيتى العزيزة .

مس برزم : يجب ألا نكون متعجلين فى اصدار أحكامنا .

سيسيلى : أحس السعادة تغمرنى .

(يخرجون جميعا ماعدا چاك والچيرنن)

چاك : أيها الوغد الصغير آلجى . يجب أن تخرج من هذا المكان بأسرع ما يمكن . انى لا أسمح بأى تبنبر هنا .

(يدخل ميريمان)

ميريمان : لقد وضعت أمتعة مستر أيرنست فى الغرفة المجاورة لغرفتك يا سيدى . أعتقد أن من الصواب ما فعلت .

چاك : ماذا ؟

ميريمان : أمتعة مستر ايرنست يا سيدى . لقد أخليت الحقائب ووضعت كل شىء فى مكانه بالغرفة المجاورة لغرفتك .

چاك : أمتعته ؟

ميريمان : نعم يا سيدى . ثلاث من حقائب السفر الضخمة، وصندوق أدوات الحلاقة والزينة ، وعلبتـــان للقبعات ، وسلة ضخمة للزاد .

الچيرنن : آخشى ألا أستطيع البقاء معكم أكثر من أسبوع هذه المرة .

چاك : ميريمان ، مر باستحضار العـربة على الفور ، فمستر ايرنست قـد وصله استدعاء مفـاجىء الى المدينة .

ميريمان : وهو كذلك يا سيدى (يعود فيدخل البيت)

الچيرنن : أى كذوب مروع أنت چاك . لم يحدث أبدا أن دعيت للعودة الى المدينة .

چاك : بل انك دعيت .

الچيرنن : لم أسمع أيما دعوة من أحد .

چاك : واجبك كرجل شريف يدعوك للعودة .

الچيرنن : واجبى كرجل شريف لم يكن له يوما أدنى دخل فى مسراتى .

چاك : أستطيع أن أفهم ذلك جيدا .

الچيرنن : حسن . ان سيسيلى فتاة محببة .

چاك : ليس لك أن تتحدث عن مس كاردو بمثل ذلك . أنا لا أحب هذا .

الچيرنن : حسن ... وأنا لا أحب ملابسك فأنت تبدو فيها مضحكا للغاية . أى شىء فى الوجود يمنعك من الصعود الى البيت وخلعها ؟ انى لأعتبر هذا من السخافات الغريبة المضحكة .

چاك : انك بكل تأكيد لن تبقى معى أسبوعا كاملا . لا بصفتك ضيفا ولا بأية صفة أخرى . يتحتم عليك أن تبرح فى قطار الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة .

الچيرنن : من المؤكد أننى لن أتركك وحيدا طالما أنت فى ثياب الحداد . ان هذا ليكون منافيا للصداقة كل المنافاة . لو أنك فعلت لعددت ذلك منك قسوة بالغة .

چاك : حسن . أوتذهب ان أنا غيرت ثيابى ؟

الچيرنن : نعم ، ان لم تستغرق فى ذلك وقتا طويلا . ما رأيت فى حياتى أحدا يستنفد فى ارتداء

ملابسه ما تستنفد أنت من وقت طويل ، دون نتيجة تذكر .

چاك : حسن . هذا على أى حال أفضل من أن أكون دائما مغاليا فيما ألبس كما تفعل أنت .

الچرنن : اذا كنت فى بعض الأحيان مغاليا بعض الشىء فيما أرتدى ، فانما يشفع لى فى ذلك أننى شديد المغالاة على الدوام فى التأدب .

چاك : ان غرورك لمضحك ، وسلوكك لفاضح ، وان وجودك فى حديقتى لغاية فى السخف . وعلى أية حال يتحتم عليك أن تستقل قطار الرابعة وخمس دقائق .. وانى لأرجو لك رحلة ممتعة فى عودتك الى المدينة . هذا « التبنبر » كما تسميه لم يعد محققا لك نجاحا عظيما .

(يدخل البيت)

الچرنن : بل أعتقد أنه بالفعل قد حقق لى نجاحا عظيما . اننى و سيسيلى نتبادل الحب . وذلك عندى هو كل شىء .

(تدخل سيسيلى من مؤخرة الحديقة تلتقط رشاشة وتأخذ فى رى الأزهار)

ولكن لا بد لى من أن أراها قبل ذهابى ، لكى أعد العدة لبنبرة أخرى . آه ها هى ذى .

سيسيلى : أوه ! انما قد رجعت لرى الورود . ظننت أنك مع العم چاك .

الچيرنن : لقد ذهب ليأمر باحضار العربة من أجلى .

سيسيلى : أوه . أمعتزم هو اصطحابك الى نزهة لطيفة ؟

الچيرنن : بل معتزم ترحيلى .

سيسيلى : واذن ، هل كتب علينا أن نفترق ؟

الچيرنن : أخشى أن يكون الأمر كذلك . وانه لفراق جد أليم .

سيسيلى : انه لمن المؤلم دائما أن يفارق الانسان من لم يمض على تعرفه ليهم الا القليل ، قد يستطيع المرء أن يحتمل فى سكينة وثبات جأش ، بعاد الأصدقاء القدامى . أما مفارقة المرء لمن تعرف بهم توا : فأمر يكاد يكون فوق طاقة الاحتمال .

الچيرنن : شكرا .

(يدخل ميريمان)

ميريمان : العربة بالباب يا سيدى .

(الچيرنن ينظر الى سيسيلى مستنجدا)

سيسيلى : يمكنها الانتظار خمس دقائق يامبريمان .

ميريمان : سمعا وطاعة يا آنسة .

(يخرج ميريمان)

الچيرنن : آمل ، سيسيلى ، ألا أغضبك اذا صرحت لك بمنتهى الجلاء والوضوح ، أنك تبدين لى كما لو كنت من جميع الوجوه المعنى المجسم للكمال المطلق .

سيسيلى : ما أظن صراحتك الا جديرة بأن تزيدك قدرا وحظوة يا ايرنست سأنسخ قولك فى دفتر يومياتى ان أذنت .

(تقصد الى المصدة وتبدأ الكتابة فى دفتر اليوميات)

الچيرنن : أحقا أنك تحتفظين بدفتر يوميات ؟ انى لا أظن بأى شىء فى سبيل القاء نظرة عليه . أتسمحين ؟

سيسيلى : أوه ، لا . (تضع يدها فوق الدفتر) أنت ترى أنه مجرد سجل لأفكار وانطباعات فتاة فى ميعة الصبا ، وهو بالتالى مقصود به أن ينشره الناشرون يوما ما . آمل عندما يظهر على شكل كتاب ، أن تطلب نسخة . ولكن أرجوك

ايرنست ، لا تتوقف عن الاسترسال فيما كنت تقول . انه ليروقنى أن أسجل ما يملى . لقد وصلت الى « الكمال المطلق » . تستطيع أن تستمر ، فانى على استعداد تام للمزيد .

الچيرنن : (فى شىء من الدهشة) احم ! احم !

سيسيلى : أوه . لا تسعل ايرنست . عند الاملاء يتعين على المرء أن يتكلم فى طلاقة وألا يسعل . والى جانب ذلك فأنا لا أعرف أن أتهجى السعال .

(تكتب بينما يتكلم الچيرنن)

الچيرنن : (متكلما فى اندفاع سريع جدا) سيسيلى . من اللحظة الأولى التى تطلع فيها بصرى الى جمالك الرائع الفريد ، تجاسرت وأحببتك فى اندفاع وتأجج ، وتعبد ويأس .

سيسيلى : ما أظن أنه كان عليك أن تخبرنى أنك تحبنى فى اندفاع وتأجج وتعبد ويأس . فكلمة اليأس هنا ليس فيها كثير معنى . أليس كذلك ؟

الچيرنن : سيسلى ! ..

(يدخل ميريمان)

ميريمان : العربة فى الانتظار يا سيدى .

الچيرنن : قل لها أن تأتى الأسبوع المقبل فى الساعة نفسها.

ميريمان : (ينظر الى سيسيلى التى لاتبدو عليها بادية) سمعا يا سيدى .

(ميريمان ينسحب خارجا)

سيسيلى : العم چاك سيكون فى غاية الضيق اذا عرف أنك باق هنا حتى الساعة نفسها من الأسبوع المقبل .

الچيرنن : أوه ، انى لا أهتم لچاك . انى لا أهتم لأحد فى العالم سواك . ستتزوجيننى ، أليس كذلك ؟

سيسيلى : أيها الصبى الأبله ! بالطبـــع . كيف لا ونحن خطيبان منذ ثلاثة شهور ؟

الچيرنن : منذ ثلاثة شهور ؟

سيسيلى : نعم . سيكون قد مضى على ذلك ثلاثة شـــهور يوم الخميس المقبل .

الچيرنن : لكن كيف صرنا خطيبين ؟

سيسيلى : منـــذ أن اعترف لنا العم چاك لأول مرة ، بأن له أخا أصغر غاية فى الشر والفساد ، كنت أهم ما يدور حـــوله الحـــديث بينى ومس پرزم ،

والرجل الذى هو مدار حديث الناس ، يكون بطبيعة الحال دائما جذابا . فالمرء يحس لا محالة بأنه لا بد أن يكون لديه شيء من المزايا على كل حال . ولربما كان ذلك حساقة منى . ولكنى وقعت فى حبك يا ايرنست .

الچيرنن : حبيبتى . ومتى تمت الخطبة بالفعل ؟

سيسيلى : فى الرابع عشر من شهر فبراير الماضى . ان جهلك المطلق حتى بمجرد وجودى ، قد أغضبانى ونال منى ؛ فاعتزمت أن أضع للأمر حدا بطريقة أو بأخرى . وبعد طول الجهاد بينى وبين نفسى ، رضيت بك تحت هذه الشجرة العجوز العزيزة . وفى اليوم التالى اشتريت هذا الخاتم الصغير نيابة عنك ، وهذا هو الخاتم الصغير وبه شارة المحب الصادق — وهو الذى وعدتك أن ألبسه على الدوام .

الچيرنن : أو قدمت اليك هذا ؟ انه لجميل جدا أليس كذلك ؟

سيسيلى : نعم . انك لآية فى حسن الذوق يا ايرنست ،

وانه للعذر الذى كنت دائما ألتمسه لك فيما اخترته لنفسك من حياة فاسدة ، وهذا هو الصندوق الذى أحتفظ فيه بكل رسائلك الغالية

(تركع بجانب المنضدة . تفتح الصندوق وتخرج منه الرسائل محزومة بشريط أزرق)

الچيرنن : رسائلى ! ولكن يا عزيزتى الحلوة سيسيلى ، لم يحدث أبدا أن كتبت لك أية رسائل .

سيسيلى : لا أظنك بحاجة الى تذكيرى بذلك يا ايرنست فانى لأذكر أشد الذكر أننى كنت مضطرة أن أكتب رسائلك نيابة عنك . وكنت موافقة على الكتابة ثلاث مرات فى الأسبوع وأحيانا أكثر .

الچيرنن : أوه . أتسمحين لى أن أقرأها سيسيلى ؟

سيسيلى : أوه . لا أرانى مستطيعة ذلك ، فانها ستملأك زهوا وخيلاء . (تعيد الصندوق الى مكانه) الرسائل الثلاث التى كتبتها لى بعد أن فسخت خطبتنا ، هى من فرط الجمال وكثرة الأغلاط الهجائية بحيث لا أكاد أستطيع الآن قراءتها دون أن أجهش بالبكاء .

الچيرنن : ولكن هل حدث لخطبتنا أن فسخت يوما ؟

سيسيلى : طبعا حدث . كان ذلك فى الثانى والعشرين من مارس الماضى . تستطيع أن ترى ذلك فى دفتر يومياتى ان شئت (تطلعه على «دفتر» اليوميات) اليوم فسخت خطبتى مع ايرنست . أشعر أن ذلك هو الأفضل . الطقس مازال ساحرا .

الچيرنن : ولكن أى سبب فى العالم ذلك الذى حملك على فسخها ؟ ما الذى كنت قد فعلت ؟ أنا ما فعلت شيئا بالمرة . سيسيلى ، أنا فى الحق قد تأذيت كثيرا بسماعى أنك قد فسختها . خصوصا وقد كان الطقس ساحرا كل ذلك السحر .

سيسيلى : ما كان لها أن تكون خطبة جدية لو لم تفسخ على الأقل مرة . على أننى صفحت عنك قبل أن ينقضى الأسبوع .

الچيرنن : (عابرا اليها ثم راكعا) أى ملاك رحيم أنت سيسيلى .

سيسيلى : يا للصبى العزيز الشاعرى العواطف .

(يقبلها فتجيل أصابعها فى ثنايا شعره)

آمل أن يكون تجعيد شعرك طبيعيا . أهو كذلك ؟

الچيرنن : نعم يا حبيبتى . مع بعض المعاونة من الغير .

سيسيلى : لكم أنا مسرورة فرحة .

الچيرنن : سوف لا تفسخين خطبتنا مرة أخرى سيسيلى ؟

سيسيلى : ما أحسبنى قادرة على فسخها بعد أن تحقق بيننا اللقاء . ثم ان هناك الى جانب ذلك بالطبع ، مسألة اسمك .

الچيرنن : نعم ، بالطبع . (فى عصبية)

سيسيلى : يجب ألا تضحك منى يا حبيبى ، فانه كان دائما من أحلام صباى أن أكون حبيبة شخص مايحمل اسم ايرنست (الچيرنن ينهض وكذلك تفعل سيسيلى) يوجد فى ذلك الاسم شىء ما ، يبعث فى النفس منتهى الثقة والطمأنينة . انى لأرثى لأية امرأة متزوجة مسكينة ، لا يكون اسم زوجها ايرنست .

الچيرنن : ولكن ، يا صغيرتى العزيزة ، أتعنين بقولك هذا ، أنك ما كنت تحبيننى لو كنت اسمى باسم آخر؟

سيسيلى : ولكن بأى اسم ؟

الچيرنن : أوه ، أى اسم تشائين — الچيرنن — مثلا .

سيسيلى : ولكنى لا أحب اسم « الچيرنن » .

الچيرنن : هيا ، يا محبوبتى الصغيرة ، العزيزة ، الحلوة ، المحبة ، أنا فى الحق لا أرى مبررا لاعتراضك على اسم الچيرنن . انه اسم ليس رديئا على الاطلاق . بل انه فى الحق اسم أرستقراطى . وان نصف عدد الشبان الذين يقدمون الى محكمة اشهار الافلاس ، انما يحملون اسم الچيرنن . لكن خبرينى جديا يا سيسيلى (دارجا نحوها) لو أن اسمى كان آلچى ، أوكان لا يسعك أن تحبينى ؟

سيسيلى : (ناهضة) لربما كنت أحترمك ايرنست ، ربما كنت أعجب بخلقك . ولكنى أخشى ألا أكون قادرة على أن أخصك وحدك بكل اهتمامى .

الچيرنن : احم ! سيسيلى (ملتقطا قبعته) راعى كنيستكم أحسب أنه خبير فى اقامة كل الطقوس والشعائر الكنسية ؟

سيسيلى : أوه ، نعم . دكتور تشوزيبل رجل من أعلم الناس . انه لم يؤلف فى حياته كتابا واحدا ، ومن ثمة تستطيع أن تتخيل عظم ما بلغ من العلم.

الچيرنن : يجب أن أقابله فورا بخصوص تعميد فى غاية الأهمية — أقصد بخصوص أمر بالغ الأهمية .

سيسيلى : أوه !

الچيرنن : لن أغيب عنك أكثر من نصف ساعة .

سيسيلى : اذا أخذنا فى الاعتبار أننا مخطوبان منذ الرابع عشر من فبراير وأننى اليوم فقط قابلتك لأول مرة ، أعتقد أنه أقرب الى القسوة أن تغيب عنى فترة تطول الى نصف ساعة . أولا تستطيع اختصارها الى عشرين دقيقة ؟

الچيرنن : سأعود بعد فترة من الوقت لأتذكر .

(يقبلها ويندفع خارجا عبر الحديقة)

سيسيلى : يا له من فتى عنيف الشعور ! انى أحب شعره كثيرا . يجب أن أسجل خطبته الواقعية فى دفتر يومياتى .

(يدخل ميريمان)

ميريمان : آنسة تدعى فيرفاكس قد وصلت توا لمقابلة مستر ورذنج فى شأن بالغ الأهمية ، هكذا تقرر مس فيرفاكس .

سيسيلى : أوليس مستر ورذنج فى مكتبته ؟

ميريمان : مستر ورذنج أخذ سبيله فى اتجاه الكنيسة منذ وقت غير بعيد .

سيسيلى : أناشدك أن ترجو السيدة فى أن تخرج الينا هنا ، فمستر ورذنج لا شك عائد عما قليل . ويمكنك أن تحضر الشاى .

ميريمان : سمعا يا آنسة . (يخرج)

سيسيلى : مس فيرفاكس ! أحسب أنها واحدة من كثيرات النساء العجائز الخيرات اللاتى يلتقين بالعم چاك ويتعاون معه فى بعض أعماله الخيرية فى لندن . انى لا أحب النساء اللاتى يشتغلن بالأعمال الخيرية . أعد ذلك منهن تطاولا واجتراء .

(يدخل ميريمان)

ميريمان : مس فيرفاكس .

(تدخل جويندولين . يخرج ميريمان)

سيسيلى : (متقدمة للقاء الوافدة) أناشدك أن تسمى لى بتقديم نفسى اليك . اسمى هو سيسيلى كاردو .

جويندولين : سيسيلى كاردو ؟ (تقصد اليها وتصافحها) يا له من اسم عذب ! نفسى تحدثنى بأننا مقبلتان على صداقة متينة . انى أحبك مقدما حبا يقصر كلامى عن وصفه . ان أحاسيسى الأولى تجاه الناس لا تخطىء أبدا .

سيسيلى : أوه ، يا له من ظرف عظيم منك أن تولينى كل ذلك الحب ولما يمض على تعارفنا بعد غير وقت قصير . أرجو أن تتفضلى بالجلوس .

جويندولين : (ما تزال واقفة) أستطيع أن أناديك بسيسيلى أفلا أستطيع ؟

سيسيلى : بكل سرور .

جويندولين : وستنادينني أنت أيضا بجويندولين ، أفلا تفعلين ؟

سيسيلى : ان كان هذا يروقك .

جويندولين : اذن فقد قضى الأمر ، أليس كذلك ؟

سيسيلى : آمل أن يكون كذلك .

(فترة صمت . كلتاهما تجلسان معا)

جويندولين : لقد تكون هذه فرصة مواتية لأن أذكر لك من أنا . والدى هو لورد « براكنل » . لعلك لم تسمعى من قبل عن بابا ؟

سيسيلى : لا أحسبنى سمعت عنه .

جويندولين : خارج نطاق العائلة ، بابا ، وانى ليسعدنى أن أقولها ، رجل غير معروف بالمرة . وأظن أن وقوع ذلك أمر مطابق تماما لما كان يجب . فالبيت فيما يبدو لى هو النطاق الأليق بالرجل . ومن المؤكد أنه ، ما ان يبدأ رجل فى التخلى عن واجباته المنزلية ، الا ويصبح للأسف الشديد مؤنثا أوليس كذلك ؟ وانى لا أحب ذلك . انه يجعل الرجال أكثر فتونا وأشد جاذبية . سيسيلى ، ان ماما ، ولها فى التربية آراء متزمتة بشكل ملحوظ ، قد نشأتنى على أن

أكون قصيرة النظر جدا ، وهذا جزء من منهجها في التربية . وعليه أفيضايقك ان أنا حدقت النظر اليك من خلال نظارتي ؟

سيسيلي : أوه ! كـلا على الاطـلاق يا جويندولين . انى لشديدة الولع بأن أكون محط الأنظار .

جويندولين : (بعد تفحصها سيسيلي بعناية واهتمام من خلال نظارتها ذات المقبض)
انك هنا في زيارة قصيرة على ما أعتقد .

سيسيلي : أود لا ! فانى أعيش هنا .

جويندولين : (في حدة) حقا ؟ فأمك ولا شك ، أو واحدة من قريباتك المتقدمات في السن ، تسكن هنـا هي الأخرى ؟

سيسيلي : أوه لا ! ليس لي أم ، ولا أقارب في واقع الأمر.

جويندولين : حقا ؟

سيسيلي : ان عزيزي القيم على ، هـو الذي يتجشم أمر رعايتي تساعده في ذلك مس پرزم .

جويندولين : القيم عليك ؟

سيسيلي : نعم ، فانني تحت وصاية مستر ورذنج .

جويندولين : أوه ! غريب أنه لم يذكر لي البتة أنه وصي على

أحد . يا له من رجل كتوم ! انه ليزداد كل ساعة لغتا للنواظر وامتاعا للخواطر . على كل حال ، لست متأكدة من أن الخبر يبعث فى نفسى مشاعر سرور خالص لا تشوبه شائبة (ناهضة وذاهبة اليها) انى لشـــديدة الحب لك سيسيلى . لقـــد أحببتك منذ أول لحظة قابلتك فيها ! بيد أنى الآن وقـــد عرفت أنك تحت وصـــاية مستر ورذنج ، أرانى مضطـــــرة أن أصرح بأننى أتمنى لو كنت — ماذا أقول — لو كنت أكبر بقليل مما تبدين ، وأقل مما أنت عليه من الفتنة وسحر الطلعة . والواقع ، اذا كان لى أن أتكلم فى اخلاص وصراحة ...

سيسيلى : تكلمى أرجوك ! انى أعتقـــد أن من كان لديه أقوال لا تسر ، يتعين عليه أن يصطنع الاخلاص والصراحة .

جويندولين : حسن ، ولكى يكون كلامى فى منتهى الاخلاص والصراحة أقول سيسيلى ، انى أتمنى لو أنك كنت قد سلخت من العمر اثنتين وأربعين سنة كاملة ، وأنك كنت أكثر افتقارا الى الجمال ممن

تكون فى هذه السن . ان لايرنست خلقا قويا سويا . انه مثـال الصـدق والشرف . انه لمن المحـال أن يكون من شيمته عـدم الوفاء والخديعة . ولكن الرجال ، حتى من أوتى منهم أنبل الصفات الخلقية ، هم أشد ما يكونون تأثرا بما أوتى الغير من المفاتن الجسـدية . والتاريخ الحديث ، لا يقل عن القديم فى كثرة ما يزودنا به من الأمثلة الفاجعة الأليمة على ما أعنيه وأشير اليه . ان لم يكن التاريخ كذلك لما كان صالحا للقراءة .

سيسيلى : معذرة جويندولين أو قلت ايرنست ؟

جويندولين : نعم .

سيسيلى : أوه ، ولكن مستر ايرنست ورذنج ليس هـو الوصى علىّ . انما الوصى هو أخوه ؛ أخـوه الأكبر .

جويندولين : (جالسة مرة أخرى) يذكـر لى لكن ايرنست لم أبدا أن له أخا .

سيسيلى : يؤسفنى أن أقول انهما لم يكونا على صـلات حسنة منذ زمن بعيد .

جويندولين : آه ! هذا تعليل مقبول . والآن وبعد الروية أذكر فعلا أننى لم أسمع قط رجلا يذكر أخاه . يظهر أن ذلك أمر لا يستسيغه معظم الرجال سيسلى ، لقد أزحت عن ذهنى عبئا ثقيلا . لقد كان يساورنى القلق حتى كاد يستبد بى . ما كان أفظع الأمر لو أن سحابة غامت على صداقة مثل صداقتنا ، أليس كذلك ؟ انك بالطبع متأكدة غاية التأكد من أن مستر ايرنست ورذنج ليس هو الوصى عليك ؟

سيسيلى : متأكدة تماما . (فترة صمت) فى الواقع أننى سأكون له .

جويندولين : (مسوحة) أرجو المعذرة ، ماذا ؟

سيسيلى : (أغرب ما تكون الى الخجل ، وبلهجة من يبوح بالسر لمن يأتمنه عليه)

أيتها العزيزة جويندولين ، ليس ثمة مبرر لأن أكتم هذا السر عنك . فان الصحيفة المحلية الصغيرة التى تصدرها مقاطعتنا ستنشر الخبر ولا شك فى الأسبوع المقبل . ان مستر ايرنست

ورذنج وأنا ، مرتبطان بخطبة رسمية للزواج .

جويندولين : (فى أدب جم وهى ناهضة) سيسيلى ، يا حبيبتى ، أعتقد أن فى الأمر لا محالة غلطة ظريفة . فمستر ايرنست ورذنج مخطوب لى أنا . وسيظهر الاعلان عن ذلك فى صحيفة المورننج بوست يوم السبت على الأكثر .

سيسيلى : (فى أدب جم وهى ناهضة) أخشى أن تكونى واهمة فى تصورك . فايرنست قد خطبنى منذ عشر دقائق على وجه التحديد .

(تريها دفتر اليوميات)

جويندولين : (تتفحص دفتر اليوميات من خلال نظارتها بكل اهتمام)

حقا انه لأمر فى منتهى الغرابة ، لأنه قد طلب منى أن أكون زوجته ، كان ذلك بعد ظهر أمس فى الساعة الخامسة والنصف . وان كان يهمك التحقق من ذلك فافعلى أرجوك .

(تخرج دفتر يومياتها كذلك)

أنا لا أسافر أبدا الا ومعى دفتر يومياتى .

يجب أن يكون مع المرء دائما شيء مثير ليقرأه فى القطار . انى آسفة جدا أيتها العزيزة سيسيلى ، على ما قد أكون سببت لك من خيبة الأمل ، على أننى أحسبنى صاحبة الأولوية فى المطالبة بالحق .

سيسيلى : لا يمكننى أن أعبر لك عن مدى ألمى أيتها العزيزة جويندولين ، اذا كنت قد تسببت لك فى أى ألم ذهنى أو جسدى ، ولكنى أرانى مضطرة أن أسترعى نظرك الى أن ايرنست ان كان قد تقدم لخطبتك ، فقد عاد فعدل عن رأيه .

جويندولين : (فى تأمل وترو) لئن كان الفتى المسكين قد استدرج الى التورط فى الارتباط بوعد أحمق ، فانى أعتبر من واجبى أن أستنقذه فى الحال بكل ما أوتيت من عزيمة وقوة .

سيسيلى : (بتمعن واكتئاب) أيا كانت الأحابيل التعسة التى تورط فيها فتاى العزيز ، فلن ألومه عليها بعد زواجنا .

جويندولين : أو تعنيننى مس كارديو بكلمة الأحابيل ؟ انك لدعية متطاولة . فى حالة مثل هـــذه ، تصبح مجاهرة المرء برأيه واجبا وأكثر من واجب . انها تصبح متعة .

سيسيلى : أوتقصـــدين مس فيرفاكس أننى استدرجت ايرنست الى خطبتى ؟ كيف تجرؤين ؟ لقد آن أن أخلع قناع المجاملة الواهى . اذا رأيت جاروفا ، أسميته جاروفا .

جويندولين : (فى سخرية) يسعدنى أن أقول اننى لم أر فى حياتى جاروفا . وهذا يوضح الفرق الشاسع بين وسطينا .

(يدخل ميريمان يتبعه خادم المـــائدة الذى يحمل صينية ومفرشا للمـــائدة وحامـــلا للأطباق . سيسيلى كانت على وشك أن ترد على هذا التعريض بمثله ، الا أن حضـــور الخادمين جعل الفتاتين تكظمان غضبهما الذى تغلى مراجله)

ميريمان : أأضع الشاى هنا كالمعتاد يا آنسة ؟

سيسيلى : (فى عبوس وصوت هادىء) نعم كالمعتاد .

(ميريمان ، يبدأ فى تهيئة المقعدة ويغطيها بالمفرش . فترة صمت طويلة . سيسيلى وجويندولين تحملق كل منهما فى الأخرى بتحفز)

جويندولين : أيوجد فى جواركم متنزهات يستحب فيها المشى مس كاردو ؟

سيسيلى : أوه ! نعم ! كثيرة جدا . من قمة أحد التلال المجاورة يستطيع الانسان أن يرى خمس مقاطعات .

جويندولين : خمس مقاطعات ! أوه ! ما أظننى أستحب هذا ، انى أكره الزحام .

سيسيلى : (فى عذوبة) ومن أجل ذلك تعيشين فى المدينة !

(جويندولن تعض شفتها وتضرب قدميها بمظلتها فى عصبية)

جويندولين : (متلفتة حوالبها) يا لها من حديقة معتنى بها مس كاردو !

سيسيلى : يسعدنى أنها أعجبتك مس فيرفاكس .

جويندولين : لم أكن أتصور أن بالريف أية أزهار .

سيسيلى : أوه ، الأزهار هنا شىء عادى مس فيرفاكس كالناس فى لندن .

جويندولين : أنا شخصيا لا أستطيع أن أفهم كيف يطيق البقاء فى الريف انسان ، ان كان يعيش فى الريف انسان

بمعنى الانسان . الريف دائما ثقيل على نفسى كالموت .

سيسيلى : آه ، هذا هو ما تسميه الصحف بالاكتئاب الزراعى ، أليس كذلك ؟ أعتقد أن الطبقة الأرستقراطية تقاسى الآن من ذلك كثيرا فى الوقت الحاضر . ان ذلك الاكتئاب ينتشر بينهم انتشار الوباء فيما قيل لى . أتسمحين أن أقدم لك بعض الشاى مس فيرفاكس ؟

جويندولين : (فى تأدب مصطنع) شكرا لك (جانبا) فتاة بغيضة ! غير أنى أحس الحاجة الى الشاى !

سيسيلى : (فى عدوبة) سكر ؟

جويندولين : (متعالية متغطرسة) كلا أشكرك . لم يعد السكر من متبعات هذا العصر .

(سيسيلى تنظر اليها فى غضب ، تمسك بالملقاط ، وتضع به أربع قطع من السكر فى القدح)

سيسيلى : (فى صرامة) كعك أم خبز بالزبدة ؟

جويندولين : (فى ضيق) خبز بالزبدة من فضلك . الكعك قلما يظهر له أثر فى أعظم البيوتات هذه الأيام .

سيسيلى : (تقطع شريحة كبيرة من الفطير وتضعها على الصينية)

قدم ذلك الى مس فيرفاكس

(يفعل ميريمان ما أمر به . ثم يخرج مع خادم المائدة . جويندولين تشرب الشاى . تقطب وتقبض أسارير وجهها . تضع القدح فى الحال . تمديدها تأخذ شيئا من الخبز بالزبدة . تنظر اليه فتجد أنه كعك . تهب واقفه فى سخط)

جويندولين : لقد أفعمت قدح شايى بقطع السكر . وبالرغم من أننى طلبت بكل وضوح خبزا بالزبدة ، أعطيتنى كعكا. اننى معروفة بدماثة خلقى وعذوبة شمائلى ، ولكنى أحذرك مس كارديو فلقد تتمادين فى الشطط .

سيسيلى : (ناهضة) فى سبيل انقاذ فتاى المسكين البرىء السليم النية ، من أحابيل أية فتاة أخرى ، لا أدخر جهدا ولا أحجم عن الذهاب الى أى مدى .

جويندولين : من أول لحظة رأيتك لم أثق بك ولم آمن

جانبك . شعرت أنك كاذبة ومخادعة . لم يحدث أن انخدعت أبدا فى مثـــل تلك الأمور . ان انطباعاتى الأولى عن الناس صادقة دائما .

سيسيلى : يبدو لى مس فيرفاكس أننى افتأت على وقتك الغالى . لا شك أن لديك من الطراز نفســـه زيارات أخرى عديدة ، تقومين بها فى هـــذه الناحية .

(يدخل چاك)

جويندولين : (يمم بصرها عليه) ايرنست ! ايرنستى !

چـــاك : جويندولن ! حبيبتى !

(يهم بتقبيلها)

جويندولين : (مراجعة انفسها) لحظة ! الى أن أســـأل ان كنت مرتبطا بالخطبة للزواج من هذه الشابة ؟

(تشير الى سيسيلى)

چـــاك : (ضاحكا) من صغيرتى العزيزة سيسيلى بالطبع لا ! ما الذى أدخل مثل هذا الخاطر فى رأسك الصغير الجميل ؟

جويندولين : شكرا لك . الآن يمكنك ! (تعرض خدها)

سيسيلى : (فى منتهى الرقة والعذوبة) كنت أعلم أن فى الأمر

ولا شك شيئا من سوء التفاهم مس فيرفاكس .
ان السيد الذى يطوق خصرك بذراعه هو وصيى
القيم على ، مستر چون ورذنج .

جويندولين : معذرة ، ماذا ؟

سيسيلى : هذا هو العم چاك .

جويندولين : (مراجعة) چاك ! أود !

(يدخل الچيرنن)

سيسيلى : ها هو ذا ايرنست .

الچيرنن : (قاصدا الى « سيسيلى » دون أن يلحظ
وجود أحد) يا حبى (يهم بتقبيلها)

سيسيلى : (مراجعة عنه لحظة) يا ايرنست ! الى أن
أسألك ان كنت مرتبطا بالخطبة للزواج من
هذه الشابة ؟

الچيرنن : (ملقنا حوله) أية شابة ؟ معاذ الله ! جويندولين !

سيسيلى : نعم ! معاذ الله ، جويندولين، أعنى جويندولين.

الچيرنن : (صاحكا) بالطبع لا ! ما الذى أدخل مثل هذا
الخاطر فى رأسك الصغير الجميل ؟

سيسيلى : شكرا لك :(مقدمة اليه خدمة ليقبلها) يمكنك الآن (يقبلها الچيرنن)

جويندولين : كنت شاعرة بأن فى الأمر غلطة طفيفة ، مس كاردو . السيد الذى يعانقك الآن هو ابن خالتى ، مستر الچيرنن مونكريف .

سيسيلى : (منفلتة من بين أحضان الچيرنن)
الچيرنن مونكريف ! أوه !
(تقبل كل من الفتاتين على الأخرى وتتخاصران ، كانهما تعتصمان بهذا التقارب)
أوهل تدعى الچيرنن ؟

الچيرنن : لا أستطيع أن أنكر ذلك .

سيسيلى : أوه !

جويندولين : أحقا ان اسمك چون ؟

چاك : (واقفا فى اعتداد وخيلاء)
أستطيع أن أنكر ذلك اذا أردت . أستطيع انكار أى شىء ان أنا أردت . ولكن اسمى بالتأكيد هو چون . وقد كان چون منذ سنوات وسنوات .

سيسيلى : (مخاطبة جويندولن)
خدعة فظة كبرى تلك التى أوقعنا فى حبائلها نحن الاثنتين .

جويندولين : يا مسكينتى المجروحة سيسيلى !

سيسيلى : يا حلوتى المظلومة جويندولين !

جويندولين : (فى تباطؤ وفى جد) ستناديننى بيا أختـــاه ، أو لا تفعلين ؟

(تتعانق الفتاتان . چاك والچيرنن يذرعان المكان صعودا ونزولا وهما يزمجران)

سيسيلى : (أقرب الى الاشراق) لدى سؤال واحـد تمنيت لو سمح لى بتوجيهه الى الوصى علىّ .

جويندولين : فكرة بديعة ! مستر ورذنج ، هنـالك سـؤال واحد تمنيت لو أذن لى أن أوجهه اليك . أين أخوك ايرنست ؟ نحن الاثنتين مخطوبتان للزواج من أخيك ايرنست ، وعليه ، فانه أمر لا يخلو من الأهمية بالنسبة لنا أن نعرف أين يوجد أخوك ايرنست حاليا .

چاك : (فى تباطؤ وتردد) جويندولين — سيسيلى — انه ليؤلمنى أشد الألم أن أضطر الى قول الحق .

وانها للمرة الأولى فى حياتى ، التى أضطر فيها الى أن أقف هذا الموقف الأليم ، ولا سيما أنى فى الواقع لم تسبق لى البتة تجربة أى شيء من هذا القبيل . بيد أننى على أية حال أقول لكما فى صرحة تامة انه ليس لى أخ يدعى ايرنست . بل انه ليس لى أخ على الاطلاق . لم يحدث طوال حياتى أن كان لى أخ ، كما أنه ليس عندى بالتأكيد أدنى رغبة فى أن يكون لى أخ فى المستقبل .

سيسيلى : (مندهشة) تقول أنه ليس لك أخ على الاطلاق؟

چاك : (فى سعادة وحبور) على الاطلاق !

جويندولين : (فى شدة) لم يكن لك يوما أخ من أى نوع ؟

چاك : (فى سرور) أبدا . ولا من أى نوع .

جويندولين : أخشى اذن يا سيسلى ، أن كلا منا ليست مخطوبة للزواج من أحد .

سيسيلى : انه لوضع غير سعيد هذا الوضع الذى تجد نفسها فيه فجأة شابة فى مقتبل العمر ؛ أليس كذلك ؟

جويندولين : هيا بنا ندخل البيت . لا أحسب أنهما يغامران بالدخول خلفنا .

سيسيلى : لا ، فالرجال فى منتهى الجبن ، أليس كذلك ؟

(تنسحبان الى داخل البيت وهما ترميان الرجلين بنظرات الازدراء والاستخفاف)

چاك : هذه الحال الكئيبة هى ما تسميه « التبنبر » على ما أعتقد ؟

ميريمان : نعم ، وانه لتبنبر مكتمل الروعة . أعظم وأروع تبنبر قمت به طوال حياتى .

چاك : مهما يكن من أمر ، فأنت لا حق لك فى أن تتبنبر هنا .

الچيرنن : كلام فارغ . للانسان أن يتبنبر حيثما يشاء . كل بنبورى جاد ، يعرف ذلك .

چاك : بنبورى جاد ! يا لرحمة السماء !

الچيرنن : لا بد أن يجد المرء فى الاهتمام بشىء ما ، حتى يجد فى الحياة ما يلهو به . ولقد اتفق لى أن كنت جادا فى التبنبر . أى شىء على وجه الأرض

أنت جاد فيه ؟ ليس عندى عن ذلك أدنى فكرة ؟ لعلك جاد فى كـل شيء . أعـرف أن لك تلك الطبيعة السطحية التى تهتم لكل تافه !

چاك : حسن ، ان عزائى الوحيد اليسير ، الذى وجدته فى هذه الفعلة التعسة ، هو أن صديقك بنبرى قد انفجر وانتهى أمره ، فلن يكون بوسعك أن تنحدر الى الريف مرات عديدة كما كنت تفعل يا عزيزى آلچى . وانها لنتيجة حسنة حقا .

الچيرنن : ان أخاك قد بهت لونه وامحى ، أليس كذلك ؟ يا عزيزى چاك لن يكون بوسعك أن تكثر من الاختفاء عن الريف والظهور فى لندن كما كانت عادتك الشريرة . وانها لنتيجة حسنة كذلك .

چاك : أما عـن تصرفك تجاه مس كاردو ، فيجب أن أقول ان استدراجك لمثـل تلك الفتـاة الحلوة البسيطة البريئة ، لجرم لا يغتفر . وهـذا دون أن ندخل فى الحساب أنها تحت وصايتى .

الچيرنن : وأنا لا أرى لك البتـة دفاعا عن نفسك يمكن أن يشفع لك فى مخادعتك لشابة ذكيـة بارعة

مثقفة كمس فيرفاكس . وهذا دون أن ندخل فى الحساب أنها ابنة خالتى .

چاك : انما كنت أبغى الزواج من جويندولين ، هذا كل ما فى الأمر . انى أحبها .

الچيرنن : حسن . وأنا بكل بساطة كنت أبغى الزواج من سيسيلى . اننى أعبدها .

چاك : من المؤكد أنه لم يعد لك من أمل فى الزواج من مس كاردو .

الچيرنن : كذلك لم يعد هناك أى احتمال لزواجك من مس فيرفاكس .

چاك : حسن ، هذا ليس من شأنك .

الچيرنن : لو أن هذا كان من شأنى لما جرى ذكره على لسانى (يبدأ أكل الكعك) انه لمن العادات السوقية أن يتكلم الانسان فيما يعنيه . ان سماسرة البورصة هم وأمثالهم دون غيرهم من يفعلون ذلك ، وفى حفلات العشاء فقط .

چاك : كيف يطيب لك أن تجلس هناك فى هدوء تأكل الفطائر ، بينما نحن فى مثل هذا الموقف الضنك

العسير ؟ هذا ما لا يتسنى لى ادراكه . يبدو لى انه لا قلب لك على الاطلاق .

الچيرنن : حسن . اننى لا أستطيع أكل الفطير وأنا فى حالة ثورة وعدم استقرار ، والا كان من المرجح أن تتساقط الزبدة على أكمامى . فلا مندوحة للمرء من تناول الفطائر دائما فى هدوء . هـذه هى الطريقة الوحيدة التى تؤكل بها الفطائر .

چاك : بل أقول ان مجرد أكلك الفطائر فى مثل هـذه الظروف ، لشاهد على أنك عديم القلب .

الچيرنن : عنـدما أكون فى محنـة يكون الأكـل عزائى الوحيد ، والحق أننى حين أكون فى محنة كبرى — كما يخبرك بذلك كل من يعرفنى حـق المعرفة — أرفض كل شىء عدا الطعام والشراب، وأنا الآن انما آكل الفطير لأننى مبتئس . ثم انى الى جانب ذلك من هواة الفطائر (ينهض)

چاك : (ناهضا) حسن ؛ ليس هذا بالذى يبرر لك أن تأكل الفطائر عن آخرها بمثل هذه الشراهة

(يخطف الفطير من الچيرنن)

الچيرنن : (يقدم اليه كعكة الشاى) بودى لو أخذت كعكة الشاى بدلا من الفطـائر . انى لا أحب كعكة الشاى .

چاك : يا لرحمة السماء ! أعتقد أن من حق الرجل أن يأكل فطائره الخاصة فى حديقته الخاصة .

الچيرنن : ولكنك قلت توا ان الذى يأكل الفطائر يكون حتما بلا قلب .

چاك : بل قلب ذلك عنك أنت وفى هـذه الظروف ، وهذا شىء مختلف تماما .

الچيرنن : جائز ، ولكن الفطائر هى الفطائر دون اختلاف .

(يختطف طبق الفطائر من چاك)

چاك : آلچى ! أتمنى على الله أن ترحل !

الچيرنن : ما أظنك تريدنى على أن أرحل دون أن أتناول عشاء ! هذا يكون سـخفا . ليس من عادتى البتة أن أخرج دون تناول عشائى . ما من أحد يفعل ذلك ، اللهم الا البنائين ومن على شاكلتهم. ثم انتى الى جانب ذلك ، قد اتفقت مع دكتور تشوزيبل عـلى تعميدى فى الساعة السـادسة الا الربع باسم ايرنست .

چاك : يا فتاى العزيز ، كلما بادرت بالتخلى عن مثل هذا العبث ، كان ذلك خيرا لك . لقد اتفقت فى هذا الصباح مع دكتور تشوزيبل على تعميدى أنا فى الساعة الخامسة والنصف . وسيكون ذلك طبعا باسم ايرنست . ان جويندولين لا شك تود ذلك ، ولا يمكن أن يحمل كل منا اسم ايرنست . ان ذلك يكون سخفا . ثم ان لى كامل الحق فى التعميد ان رغبت . ليس هناك دليل يثبت أننى عمدت على يد أى انسان . وأرى من المرجح جدا أنه لم يسبق تعميدى . وكذلك يرى دكتور تشوزيبل . أما حالتك فتختلف اختلافا كليا . لقد تم تعميدك من قبل .

الچيرنن : نعم ، ولكننى لم أعمد منذ سنين طويلة .

چاك : نعم ، ولكنك قد سبق تعميدك وهذا هو المهم .

الچيرنن : هذا صحيح . ومن أجل ذلك فانى على يقين بأن صحتى تحتمل التعميد . فاذا أنت لم تكن متأكدا

من أنه قد سبق لك أن عمدت ، فمن واجبى أن أنبهك الى الخطر الذى تتعرض له الآن . فقد يضر التعميد بصحتك ضررا بالغا ، وما أظنك نسيت أن شخصا من أقرب الناس صلة بك ، قد حمل الى مقره الأخير فى باريس هذا الأسبوع بسبب اصابته بنازلة برد شديدة .

چاك : نعم ، ولكنك أنت نفسك قلت ان نازلة البرد العنيفة لم تكن مرضا وراثيا .

الچيرنن : أعلم أنها لم تكن كذلك ، ولكنى أقول انها أصبحت الآن وراثية . ان العلم ماض فى التقدم وادخال تحسينات رائعة على كل شىء .

چاك : (آخذا طبق الفطائر) أوه ! هذا كلام فارغ . انك لا تقول الا كلاما فارغا .

الچيرنن : چاك ! أراك تعود الى الفطائر مرة أخرى ، بودى لو أنك كففت فلم يبق منها غير فطيرتين

(يسارع بأخذهما) لقد أخبرتك بأننى مولع خاصة بهذا النوع من الفطائر .

چاك : ولكننى أكره كعكة الشاى .

الچيرنن : اذن فلاى سبب فى الوجود تسمح بتقديم كعكة الشاى الى ضيوفك ؟ أية آراء هى آراؤك فى اكرام الضيف ؟!

چاك : الچيرنن ، لقد سبق أن طلبت اليك الرحيل . انى لا أريدك هنا . لماذا لا ترحل ؟

الچيرنن : لأننى لم أنته بعد من تناول شايى ، وما تزال قطعة من الفطائر باقية .

(چاك يزمجر ويتهالك على أحد المقاعد . الچيرنن ما يزال مستمرا فى الأكل .)

(يسدل الستار)

الفصل الثالث

المنظر

(غرفة خاصة في «مانورهاوس» . جويندولين
وسيسيلي عند النافذة تطلان على الحديقة)

جويندولين : ان عدم لحاقهما بنا على الفور الى داخل البيت ؛ كما يفعل أى انسان آخر ، ليدل على أنه مازال بهما بقية من حياء .

سيسيلي : لقد كانا يأكلان الفطائر . ولعل هذا بمثابة الندم.

جويندولين : (بعد فترة صمت) يظهر أنهما لا يحسان بوجودنا على الاطلاق . ألا تستطيعين أن تسعلى ؟

سيسيلي : ولكن ليس بى من سعال .

جويندولين : انهما ينظران الينا .. يا لقلة الحياء !

سيسيلي : انهما يدنوان . يا له من اجتراء !

جويندولين : لنعتصم بوقار الصمت .

سيسيلي : بكل تأكيد . ان الصمت هو الشيء الوحيد الذى يمكن أن نفعله الآن .

(يدخل جـــاك يتبعـــه الچيرنن ، وهما يصفران لحنا شعبيا شنيعا من ألحان احدى المسرحيات الغنائية «الأوبرا» البريطانية)

جويندولين : يظهر أن هذا الصمت الوقور أحدث أثرا سيئا .

سيسيلى : أثرا فى منتهى السماجة .

جويندولين : لكننا لن نكون البادئتين بالكلام .

سيسيلى : لا بكل تأكيد .

جويندولين : مستر ورذنج ، لدى أمر خاص جـــدا أريد أن أسألك عنـــه . وان الكثـير ليتوقف على جوابك .

سيسيلى : جويندولين انك لذات عقـل ممتـاز . مستر مونكريف ، تكرم وأجبنى على السؤال الآتى : لماذا ادعيت بأنك شقيق الوصى على ؟

الچيرنن : كى تتاح لى فرصة لقائك .

سيسيلى : (الى جويندولن) هذا ولا شك تعليـل مرض . أليس كذلك ؟

جويندولين : نعم يا عزيزتى ، ان كان بوسعك أن تصدقيه .

سيسيلى : أنا لا أصدقه . لكن ذلك لا ينال مما فى جوابه من جمال رائع .

جويندولين : هذا حق . ففى الأمور البالغة الأهمية ، تكون العبرة بالأسلوب لا بالصدق . مستر ورذنج ، ماذا يمكن أن تقدمه لى من ايضاح عن ادعائك بأن لك شقيقا ؟ أكان ذلك لكى تتاح لك فرصة التردد على المدينة ما استطعت لكى تراني ؟

جاك : وهل يساورنك شك فى ذلك مس فيرفاكس ؟

جويندولين : بل تساورنى أخطر الشكوك فى هذا الموضوع . ولكننى معتزمة سحقها والقضاء عليها . ليس هذا أوان التشكك الذى تدعو اليه الفلسفة الألمانية (دارحة نحو سيسيلى) ان تفسيراتهما لتبدو مرضية كل الرضا ، وخاصة ماقدمه مستر ورذنج . يخيل الى أن طابع الصدق عليه .

سيسيلى : اننى أكثر من قانعة بما قال مستر مونكريف . ان صوته وحده ليبعث فى النفس التسليم المطلق بما يقول .

جويندولين : واذن فمن رأيك أن نصفح عنهما ؟

سيسيلى : نعم . أعنى لا .

جويندولين : صحيح ! لقد نسيت . فما زالت هناك مسائل معرضة للخطر ولا يمكن تنازلنا عنها . من منا تخبرهما بذلك ؟ ان المهمة غير محببة .

سيسيلى : ألا يمكن أن نتكلم نحن الاثنتين فى وقت واحد ؟

جويندولين : فكرة رائعة ! انى دائما أتكلم فى الوقت نفسه الذى يتكلم فيه الآخرون . أتولى أنا اشارات الايقاع ؛

سيسيلى : بكل تأكيد .

(جويندولن ترفع سبابتها وتضبط بها الايقاع)

جويندولين وسيسيلى : (متكلمتين فى نفس الوقت) ان اسميكما ما يزالان العقبة الكئود . هذا كل مافى الأمر .

جاك والجيرنن : (متكلمين فى نفس الوقت) اسمانا ! أهذا كل مافى الأمر ؟ حسن ؛ اننا سيتم تعميدنا عصر هذا اليوم .

جويندولين : (لجاك) أمن أجلى أنت مقدم على هذا الشىء الفظيع ؟

چاك : انى لكذلك .

سيسيلى : (لا لچيرنن) أمن أجل ارضائى أنت راضر بمواجهة هذا الامتحان المخيف ؟

الچيرنن : انى لكذلك .

جوينڈولين : ما أسخف الحديث فى موضـــوع مســـاواة الجنسين ! ان الرجال لأسبق منا فى مجـــال التضحية بالنفس .

چاك : اننا لكذلك

(يرفع يده ويد الچيرنن متشابكتين)

سيسيلى : ان لهم لحظات اقدام جســدى لا نعرف نحن النساء من أمرها شيئا على الاطلاق .

جوينڈولين : (لچاك) حبيبى .

الچيرنن : (لسيسيلى) حبيبتى .

(يرتمى كل بين ذراعى الآخر . يـــدخل « ميريمان » . وعندما يدخل يسعل بشدة حين رؤيته هذه الأوضاع)

ميريمان : احم ! احم ! ليدى براكنل !

چاك : والعياذ بالله !

(تدخل ليدى براكنل ، ينفصل كل حبيب عن حبيبته في انزعاج يخرج « ميريمان »)

ليدى براكنل: جويندولين ! ماذا يعنى هذا ؟

جويندولين : لا يعنى غير أننى مخطوبة للزواج من مستر ورذنج ماما .

ليدى براكنل: تعالى هنا . اجلسى . اجلسى فى الحال . ان التردد أيا كان نوعه لعلامة انحطاط عقلى عند الصغار ، وضعف بدنى عند الكبار (تسندير لچاك) بمجرد أن علمت يا سيدى ، بهرب ابنتى المفاجىء من وصيفتها المؤتمنة ، التى شريت أمانتها بدراهم معدودات ، تبعتها على الفور فى أحد قطارات البضاعة . ان والدها التعس مستغرق الآن — ويسعدنى أن أقول ذلك — فى توهمه أنها تحضر محاضرة أطول من المعتاد فى المنهج الاضافى فى تأثير الدخل الثابت على الفكر . وليس فى نيتى أن أزيح عنه غشاوة هذا الوهم . الواقع ، أننى لم أحاول أن أظهره على الحقيقة فى أمر من الأمور . فانى أعتبر ذلك خطأ . ولكن بالطبع ، يجب أن تفهم فى وضوح وجلاء ، أن

كل اتصـــال بينك وبين ابنتى يجب أن ينقطـع فورا ، ابتداء من هذه اللحظة . وانى على هذا — كعهدى فى ســـائر الأمور — لثابتة الرأى لا أتزحزح .

چاك : انى مرتبط بعهد للزواج من جويندولين ، ليدى براكنل !

ليدى براكنل: لست على شىء من هذا القبيـــل يا سيدى . والآن ، فيما يتعلق بألچيرنن ! .. ألچيرنن !

الچيرنن : نعم أيتها الخالة أوجستا .

ليدى براكنل: هل لى أن أسأل عما اذا كان هذا البيت هـــو المثوى الذى يعيش فيه صديقك العليل : مستر بنبرى ؟

الچيرنن : (منلعثما) أوه ! كلا ! بنبرى لا يعيش هنـــا . بنبرى الآن فى مكان ما غير هـــذا . الواقع أن بنبرى الآن فى عداد الأموات .

ليدى براكنل: فى عداد الأموات ! ومتى مات مستر بنبرى ؟ لا بد أن وفاته حدثت فجأة .

الچيرنن : (فى غير اهتمام) أوه ! لقـــد قتلت بنبرى عصر اليوم . أعنى أن المسكين بنبرى قد مات عصر اليوم .

ليدى براكنل: وما سبب الوفاة ؟

الچيرنن : بنبرى ؟ آوه ، لقد أودى به انفجار .

ليدى براكنل: انفجار ! هل كان ضحية اعتداء ثورى ؟ ما كنت أحسب أن لمستر بنبرى شأنا فى المشاكل الاجتماعية . اذا كان كذلك ، فلقد لاقى جزاءه الحق على ميوله المريضة المنحرفة .

الچيرنن : خالتى العزيزة أوجستا . انه قد اكتشف أمره . الأطباء وجدوا أن بنبرى لا يمكنه أن يعيش . ذلك هو ما أعنى . وهكذا مات بنبرى .

ليدى براكنل: يظهر أنه كان كثير الثقة بآراء أطبائه . أنا سعيدة على أية حال بأنه قد صح عزمه أخيرا على عمل ايجابى حاسم وتصرف بحسب أوامر طبيبه . والآن وقد تخلصنا أخيرا من هذا المستر بنبرى ، هل لى أن أسأل ممستر ورذنج ، من تكون تلك الشابة التى يمسك الآن يدها ابن أختى الچيرنن بطريقة خاصة لا موجب لها ؟

چاك : تلك السيدة ، هى الآنسة سيسيلى كاردو التى أنا وصى عليها .

(ليدى براكنل تنحنى لسيسيلى فى برود)

الچيرنن : اننى مرتبط بعهد للزواج من سيسيلى يا خالتى أوجستا .

ليدى براكنل: معذرة ، ماذا ؟

سيسيلى : مستر مونكريف وأنا مرتبطان بعهد للزواج ليدى براكنل .

ليدى براكنل: (فى رعدة ، عابرة الى الاريكة ، ثم تجلس عليها) لست أدرى اذا كان يوجد على غير المألوف شىء مثير فى هواء هذا الجزء بالذات من مقاطعة « هيرتفورد شاير » . ان عدد ما يجرى هنا من خطبات يزيد زيادة ملموسة عن المتوسط الذى تسجله الاحصاءات الرسمية لحسن توجيهنا وارشادنا . أظن أن اجراء بعض الاستعلامات التمهيدية من جانبى ، لا يكون فى غير موضعه مستر ورذنج . هل لمس كاردو علاقة فى قليل أو كثير بأية محطة من محطات السكة الحديدية

الكبرى بلندن ؟ انما أقصد مجرد الاستعلام انى حتى أمس ، لم أكن أعلم أن هناك عائلات أو أشخاصا ينتمى أصلهم الى المحطة النهائيه لاحدى السكك الحديدية .

(يبدو چاك وقد استبد به الغضب ، ولكنه يتمالك نفسه)

چاك : (فى صوت واضح وبارد) مس كاردو هى حفيدة المغفور له مستر توماس كارديو رقم ١٤٩ بلجريف سكوير ، اس . دبليو . جيرفيز بارك ، دوركنج ، سورى . وكذلك الاسبوران ، فايف شاير ان بى .

ليدى براكنل: هذا غير بعيد عن المطلوب . ثلاثة عناوين تبعث دائما على الثقة حتى فى التجار . ولكن ماذا يثبت لى صحتها ؟

چاك : لقد عنيت بالاحتفاظ بسجلات المحكمة عن تلك الفترة من الزمن . وانها لرهن اطلاعك وفحصك ليدى براكنل .

ليدى براكنل: (فى عبوس) لطالما وجدت أخطاء غريبة بتلك المطبوعات .

چاك : ان محامى عائلة مس كاردو ، هم السادة ماركبى ، وماركبى وماركبى .

ليدى براكنل: ماركبى وماركبى وماركبى ؟ انها الشركة التى تحتل أعلى مركز فى المهنة المتخصصة فيها . والواقع أننى سمعت فى الحقيقة أن أحد آل ماركبى يرى أحيانا ضمن المدعوين الى مآدب العشاء ، وهذا كاف كل الكفاية عندى .

چاك : (فى حدة بالغة) هذا عطف بالغ منك ليدى براكنل! ان لدى كذلك ، وهذا ولا شك مما يسرك سماعه ، شهادات خاصة بمس كاردو ، عن التعميد ، والسعال الديكى ، والتسجيل ، والتطعيم ، والتثبيت ، والحصبة ، من الصنفين الألمانى والانجليزى .

ليدى براكنل: آه ! حياة حافلة بالأحداث على ما أرى . وان كانت قد تتجاوز الحد فى الاثارة بالنسبة لفتاة صغيرة . انى شخصيا لا أحبذ التجارب الباكرة (تنهض وتنظر فى ساعتها) جويندولين ! لقد أزف وقت رحيلنا . لم تبق لنا لحظة واحدة نضيعها .

ومن باب استكمال الشكليات مستر ورذنج :
أرى من الحرى أن أسأل اذا كانت مس كاردو
تملك بعض الثروة ؟

چاك : أوه ! تملك حوالى المائة والثلاثين ألف جنيه سندات . هذا كل ما تملك . والى اللقاء ليدى براكنل . لكم سعدت برؤيتك .

ليدى براكنل (معاودة الجلوس مرة أخرى) لحظة ، مستر ورذنج. مائة وثلاثون ألف جنيه سندات حكومية ! ان مس كاردو لتبدو فى نظرى الآن أكثر بنات جنسها جاذبية . قليلات من بنات اليوم من لهن أية خصال متينة ، الخصال التى تبقى وتزداد حسنا . على الأيام . اننا نعيش ، ويؤسفنى أن أقول ذلك ، فى جيل سطحى(لسبسيلى) تعالى هنا يا عزيزتى(تعبر سسيلى اليها) يا للبنية الجميلة ! ان ملابسك بسيطة بساطة محزنة ، وشعرك يكاد من قلة تعهده يبدو كما خلقته الطبيعة . ولكن لا بأس ، فما أسرع ما نستطيع تغيير ذلك كله . ان وصيفة فرنسية ذات خبرة ، لخليقة بأن

تحقق نتيجة رائعة فى أقصر فترة من الوقت أذكر أننى زكيت واحدة من هذا الصنف لدى ليدى لانسنج الصغيرة . فاذا هى بعد ثلاثة شهور قد أصبحت لا يكاد يعرفها زوجها نفسه .

چاك : وبعد ستة أشهر لم يعرفها أحد .

ليدى براكنل : (تنظر فى غضب الى چاك لبضع لحظات . ثم تقبل على سيسيلى مبتسمة ابتسامتها المعهودة) تفضلى فاستديرى يا حلوتى الصغيرة (سيسيلى تستدير استدارة كاملة) لا . القطاع الجانبى هو ما أبغى (سيسيلى تعرض لها جانبها) نعم تماما . كما توقعت . توجد امكانيات اجتماعية بارزة فى قطاعك الجانبى . ان نقطتى الضعف اللتين يتسم بهما عصرنا ، هما افتقاره الى المبدأ ، وافتقاره الى القطاع الجانبى . ارفعى ذقنك قليلا يا عزيزتى . ان الأسلوب كله انما يقوم على الوضع الذى تكون عليه الذقن . ان الوضع المختار فى هذا العصر . هو الارتفاع بها كثيرا . الچيرنن !

الچيرنن : نعم يا خالة أوجستا !

ليدى براكنل: نوجـد امكانيات اجتماعية بارزة فى القطـاع الجانبى لمس كاردو

الچيرنن : ان سيسيلى هى أعذب وأغلى وأجمل فتـاة فى العالم كله . وأنا لا أحفـل فتيلا بالامكانيات الاجتماعية .

ليدى براكنل: اياك أن تتحدث عن المجتمع باستخفاف الچيرنن. العاجزون عن الدخول فى نطاقه هم وحـدهم الذين يفعلون ذلك (لسيسيلى) أيتها البنيـة العزيزة ، أنت بالطبع تعلمين أن الچيرنن ليس له مال يعتمد عليه غير ديونه . بيد أننى لا أقر قيام الزواج على أساس مادى . عندما تزوجت لورد براكنل ، لم أكن أمتلك شيئا من أى نوع كان . ومع ذلك لم يخطر فى وهمى لحظة أن أدع ذلك يقف حائلا فى سبيلى . وعلى ذلك ، أرى مـن واجبى أن أعلن قبولى .

الچيرنن : شكرا لك يا خالة أوجستا .

ليدى براكنل: أعتقد أن من الأفضـل أن يتم الزواج بأسرع ما يمكن .

الچيرنن : شكرا لك يا خالتى أوجستا .

سيسيلى : شكرا لك يا خالتى أوجستا .

ليدى براكنل: لأتكلم بصراحة أقول اننى لا أحبذ الخطباء الطويلة الأمد . فانها تتيح للناس الفرصة ليستكشف كل من الخطيبين حقيقة خلق الآخر قبل الزواج ، وهو أمر ليس من الصواب فى شىء على ما أعتقد .

چاك : أرجو أن تغفرى مقاطعتى اياك ليدى براكنل ، ان هذه الخطبة فى الواقع أمر غير ذى موضوع. اننى الوصى على مس كاردو ، وهى لا تستطيع الزواج بغير موافقتى حتى تتجاوز سن الرشد . وانى لأرفض أن أمنح تلك الموافقة رفضا باتا .

ليدى براكنل: وعلى أى أساس ترفض اذا سمحت لى بالسؤال؟ ان كل مافى الچيرنن ليجعله الى أبعد حد الفتى المنشود . انه لا يملك شيئا ، ولكن فى مظهره كل شىء . فهل تشتهى النفس أكثر من ذلك ؟

چاك : انه ليؤلمنى أشد الألم أن أضطر الى التكلم معك

بصراحة ليدى براكنل عن ابن أختك ، ولكن الحقيقة الواقعة هى أننى غير راض البتة عن أخلاقه . انى أرتاب فى استقامته ووفائه .

(الجيرنن وسيسيلى ينظران اليه فى دهشة ونقمة)

ليدى براكنل: ترتاب فى استقامته ووفائه ! ابن أختى الجيرنن؟ هذا محال ! انه عضو فى جامعة أوكسفورد .

چاك : أعتقد أنه ليس هناك أدنى شك فى ذلك . بعد ظهر اليوم ، وفى أثناء غيبتى القصيرة بلندن فى مسألة عاطفية هامة ، استطاع باحتياله وافترائه على الكذب بأنه أخى ، أن يؤذن له فى دخول بيتى . استطاع تحت اسم مستعار — وقد أخبرنى — ساقى بذلك توا — أن يشرب زجاجة كاملة تزن أرطالا ، ماركة بيريه جوييه برات ٨٩ ، وهى من النبيذ المعتق الذى كنت محتفظا به خصيصا لنفسى . وباستمراره فى خداعه وختله ، نجح فى غضون ما بعد الظهر ، فى تحويل عواطف القاصر التى أقصر عليها رعايتى .ثم أتبع ذلك بجلوسه الى الشاى حيث

التهم كل شرائح الفطير . ومما يجعل تصرفه تصرف من لا قلب له ؛ أنه كان على علم تام من أول الأمر بأنه ليس لى أخ ، وأنه لم يحدث يوما أن كان لى أخ ، وأننى لا أنتوى أن يكون لى أخ مهما يكن نوعه . لقد أوضحت له ذلك بنفسى بالأمس بعد الظهر .

ليدى براكنل : أحم ! مستر ورذنج ، اننى بعد الروية وامعان النظر فى الأمر ، قررت أن أتغاضى عما بدر من ابن أختى نحوك .

جاك : ان ذلك لمن فيض كرمك ليدى براكنل ، ومع ذلك فان قرارى هو هو ولن يتغير . انى أرفض ابداء الموافقة .

ليدى براكنل : « سيسيلى » تعالى هنا أيتها البنية الحلوة (سيسيلى تذهب اليها) كم تبلغين من العمر يا عزيزتى ؟

سيسيلى : أنا فى الحقيقة لم أجاوز الثامنة عشرة ، ولكننى دائما ما أسلم أننى فى العشرين عندما أذهب الى الحفلات الساهرة .

ليدى براكنل: انك لعلى صواب تام فى اجرائك مثل هذا التغيير الطفيف . فى الحقيقة ، لا ينبغى لأية امرأة أن تدقق فى توخى الصدق فيما يتعلق بسنها . ان ذلك ليبدو عملية حساب عسيرة !

(فى شبه تأمل وتفكير) فى الثامنة عشرة وتسلم بأنها فى العشرين فى الحفلات الساهرة . حسن ، ليس بينك وبين بلوغك سن الرشد وتخليصك من قيود الوصاية وقت طويل ، وعلى هذا ، أعتقد أن موافقة الوصى عليك لم يعد لها أدنى أهمية .

چاك : أرجو المعذرة ليدى براكنل على مقاطعتى اياك مرة أخرى ، ولكن من المناسب أن أخبرك أن مس كاردو بمقتضى ما نصت عليه وصية جدها ، لن تعتبر بالغة الرشد الا فى الخامسة والثلاثين .

ليدى براكنل: وذلك لا يبدو لى عقبة كئودا . الخامسة والثلاثون سن جذابة جدا . ان المجتمع فى لندن حافل بأكرم العقائل اللائى اخترن لأنفسهن

بمحض ارادتهن البقـــاء على سن الخامســة والثلاثين لسنوات عديدة . وخير مثال على ذلك ليدى ماولتن . فانى أذكر أنها منـذ أن بلغت الأربعين وقد مضى على ذلك سنوات ، وهى فى الخامسة والثلاثين . وأنا لا أرى ثمـة ما يمنع سيسيلى مـن أن تصـبح فى تلك السن التى ذكرتها ، أكثر جاذبيـة منها الآن . اذ سيكون ما يخصها قد تضاعف وقتئذ .

سيسيلى : آلچى ! أتستطيع انتظارى حتى أبلغ الخامسة والثلاثين ؟

الچيرنن : بالطبـع أستطيـع ذلك سيسيلى ، تعلمين أننى أستطيع ؟

سيسيلى : نعم ، بل أحس ذلك بسليقتى ، ولكنى لا أستطيع الانتظار طوال ذلك الوقت ؟ انى أكره أن أظل ولو خمس دقائق فى انتظار أحـــد ، ان ذلك يجعلنى دائما أقرب ما أكون الى الاســـتياء والنقمـــة . أعلم أننى لست ممن يدققون فى المحافظة على المواعيد ، ولكنى أحب المحافظـة

عليها من الآخـرين ، ومن ثم فان كل انتظـار عندى ولو كان انتظارا للزواج ، لأمر مرفوض دون نظر أو جدل .

الچيرنن : اذن فما الذى يجب عمله سيسيلى ؟

سيسيلى : لست أعلم مستر مونكريف .

ليدى براكنل: عزيزى مستر ورذنج ، بما أن مس سيسيلى تعلن مقررة بصفة قاطعة أنها لا تستطيع الانتظار حتى تبلغ الخامسة والثلاثين — وأرانى مضطـرة للقول بأن ذلك منها علامة على تعجل متأصل فى طبيعتها — فانى لأرجو منك أن تعيد النظـر فيما قررت .

چاك : ولكن يا عزيزتى ليـدى براكنـل ، الأمر كله فى يديك أنت . فى اللحظة التى توافقين فيها على زواجى من جويندولين ، أسـمح بكل سرور لابن أختك بالارتباط بالفتـاة التى هى تحت وصايتى .

ليدى براكنل: (ناهضة وهى تنصب قامتها) يجب أن تكون على يقين بأن ما تعرضـه أمر مرفوض دون نظـر أو جدل .

چاك : اذن فليس أمام كل منا غير عزوبة مستهامة .

ليدى براكنل : ليست هذه هى النهاية التى أبتغيها لجويندولين. آلچيرنن ، بالطبع ، يستطيع أن يختار لنفسه ما شاء (تخرج ساعتها) تعالى يا عزيزتى (جويندولين تنهض) لقد فاتنا حتى الآن خمسة قطارات ان لم تكن ستة ، اذا ما فاتنا أى قطار بعد ذلك ، فقد تتعرض الى اتخاذ رصيف المحطة منصة نكمل عليها تعليقاتنا .

(يدخل دكتور تشوزيبل)

تشوزيبل : كل شىء معد تماما لاجراء التعميدات .

ليدى براكنل : التعميدات ، يا سيدى ! أو ليس ذلك سابقا لأوانه بعض الشىء ؟

تشوزيبل : (يبدو أقرب ما يكون الى الحيرة ثم مشيرا الى چاك والچيرنن)

كلا السيدين أبديا رغبة فى اجراء تعميدهما على الفور .

ليدى براكنل : فى مثل عمرهما ؟ انه لأمر غريب مضحك ، ثم انه مخالف للدين ! الچيرنن ، انى أمنعك من أن

تعمد . ما كنت أتصور مثل هذا الشطط . لورد براكنل سيستاء أشد الاستياء اذا ترامى الى علمه أن تلك كانت طريقتك فى تضييع وقتك ومالك .

تشوزيبل : هل لى أن أفهم اذن أنه لا مراسم تعميد على الاطلاق فى هذا المساء ؟

چاك : لا أعتقد والحال على ما هى عليه ، أن للتعميد أية قيمة عملية لأحد منا دكتور تشوزيبل

تشوزيبل : يحزننى أن أسمع منك مثل هذه الخواطر مستر ورذنج . ان لهـا طعم تعاليم ونظريات غير المؤمنين بوجوب المعمودية ، تلك النظريات التى ضحدتها فى أربع من مواعظى غير المنشوره بيد أنه لما كانت حالتك الآن تبدو بعيدة عن الدين على صورة غريبة ، فانى عائد الى الكنيسة فورا . والواقع أننى أبلغت من خادم الكنيسة أن مس پرزم تنتظرنى فى غرفة ملابسى الكهنوتية منذ ساعة ونصف .

ليدى براكنل : (منتفضة) مس پرزم ! هل سمعتك تذكر اسم مس برزم ؟

تشوزيبل : نعم ، ليدى براكنل ، وانى لفى طريقى اليها .

ليدى براكنل: اسمح لى أن أؤخرك قليلا ان تكرمت . فلقد يكون فى هذا الأمر شىء له أهميته الحيوية للورد براكنل ولى . هل مس پرزم هذه ، أنثى منفرة الطلعة تتمسح بالتربية ؟

تشوزيبل : (غاصبا بعض الشىء) انها أكثر السيدات تربية وتهذيبا ، وانها لمثال حى لاحترام النفس .

ليدى براكنل: لقد أصبح واضحا أنها هى من أعنى . الى أن أسأل ما هو وضعها وصفتها فى بيتك ؟

تشوزيبل : (بشدة) اننى رجل أعزب يا سيدتى .

چاك : (متداخلا بينهما) مس پرزم ، ليدى براكنل ، أمضت السنوات الثلاث الأخيرة مربية مس كاردو المبجلة ، ورائدتها المقدرة .

ليدى براكنل: على الرغم من كل ما أسمع عنها ، فلا بد لى أن أراها حالا . أرسلوا فى طلبها

تشوزيبل : (ناظرا الى الخارج)ها هى ذى قادمة . انها على قيد خطوة منا .

(تدخل مس پرزم)

مس برزم : قيل لى انك وددت لو تلقانى فى غرفة ملابسك الكهنوتية ، فظللت أنتظرك فيها ساعة وثلاثة أرباع الساعة .

(يقع بصرها على ليدى براكنل التى راحت تحملق فيها بعين شاخصة جامدة . مس برزم يمتقع لونهـا وتتراجع فى خوف . تتلفت حواليها فى قلق كما لو كانت تبحث لها عن مهرب)

ليدى براكنل: (فى صوت المحقق القاسى) برزم ! (مس برزم تحنى رأسها فى خجل) تعالى هنا برزم . (مس برزم تقترب فى ذلة) برزم ! أين ذلك الطفـل ؟

(الجميع فى دهشة وذعر . يجعل القس فزعا . الچيرنن وچاك يتظاهران بحماية سيسيلى وجوبندولن من سماع تفاصيل فضيحة شنيعة علنية)

منذ ثمانية وعشرين عاما مضت « برزم » خرجت من بيت لورد براكنل رقم ١٠٤ فى أول شارع « جروزفنر » ، وكان موكولا اليك عربة أطفال فيها طفل ذكر . ولم تعودى أبدا . وبعد أسابيع قليلة ، وعن طريق ما أجراه بوليس العاصمة من المباحث الدقيقة البارعة ، عثر على

عربة الطفل فى منتصف الليل متروكة وحدها ؛ فى ركن قصى فى « بييزووتر » وكان بالعـــربة مخطوط لقصة من ثلاثة أجزاء ، ذات نزعة مفرطة فى العاطفية الى حد منكر .

(مس برزم تنتفض انتفاضة غضب لا ارادى)

ولكن الطفل لم يكن فى العربة .

(الجميع يتجهون بأبصارهم الى مس برزم)

برزم ! أين ذلك الطفل ؟ (فترة صمت)

مس برزم : ليدى براكنل ، أقر وأنا شـــديدة الخجل أنى لا أعرف . وليتنى عرفت . وهـذه هى حقائق الواقعة بكل بساطة . فى صبيحة ذلك اليوم الذى ذكرته ، اليوم الذى سيظل مدى الدهر مطبوعا فى ذاكرتى بميسم من نار، أعددت العدة للخروج بالطفل فى عربته كالمعتاد . وأخذت معى أيضـــا حقيبة يد قديمة كبيرة رحيبة . أخذتها بقصـــد أن أضع فيها المؤلف المخطوط الذى كنت قـــد كتبته فى ساعات فراغى القلائل . وفى سبحة من سبحات الفكر الشارد التى لا أغتفـرها لنفسى

أبدا ، وضعت المخطوط فى عربة الطفل ، والطفل فى الحقيبة .

چاك : (الذى كان يستمع بانتباه زائد)
ولكن أين وضعت الحقيبة ؟

مس پرزم : أعفنى مستر ورذنج ولا تسلنى .

چاك : مس پرزم ، هذا أمر ليس بالقليل الشأن عندى. انى أصر على أن أعرف أين وضعت حقيبة اليد . التى كان بها ذلك الطفل .

مس پرزم : أودعتها غرفة الأمانات باحدى محطات السكة الحديدية الكبرى بلندن .

چاك : أية محطة ؟

مس پرزم : (محطمة تماما) محطة فكتوريا خط برايتون
(تتهالك على أحد المقاعد)

چاك : يجب أن آوى الى حجرتى لحظة واحدة جويندولين ، ابقى فى انتظارى هنا .

جويندولين : ان لم يطل غيابك ، فانى سأنتظرك هنا طوال عمرى .

(يخرج چاك فى انفعال شديد)

ستوزيبل : ما معنى هذا فى نظرك ليدى براكنل ؟

ليدى براكنل: أنا لا أستطيع حتى مجرد التخمين دكتور تشوزيبل . لا أحسبنى بحاجة أن أخبرك بأنه فى الأسر الراقية ، لا يكون من المتوقع أن يتفق حدوث مثل هذه المصادفات الغريبة . انها لا يمكن ادخالها فى الاعتبار .

(اصوات صاخبة تسمع من فوق كما لو كان أحد يلقى بحقائب سفر كبيرة هنا وهناك . الجميع ينظرون الى أعلى)

سيسيلى : العم چاك يبدو مهتاجا على نحو غريب .

تشوزيبل : ان للوصى عليك طبيعة سريعة التأثر والانفعال .

ليدى براكنل: هذه الضجة غاية فى الازعاج . انها لترن فى الأذن كأنها جدل عنيف . انني أكره الجدل أيا كان نوعه ، لأنه دائما مبتذل سوقى ، وفى أغلب الأمر مقنع .

تشوزيبل : (ناظرا الى أعلى) لقد توقفت الضجة الآن .

(الضجة تتضاعف)

ليدى براكنل: أتمنى أن ينتهى الى نتيجة .

جوينـدولين : هذا الترقب فظيع ، أتمنى لو يدوم .

(يدخل چاك وفى يده حقيبة اليد المصنوعة من الجلد الأسود)

چاك : (مندفعا صوب مس پرزم) أهذه هى الحقيبة مس پرزم ؟ تفحصيهـا جيـدا قبل أن تتكلمى . ان سعادة أكثر من نفس واحـــدة تتوقف على اجابتك .

مس پرزم : (فى عدوء) الظاهر أنها حقيبتى . نعم ، فهذا أثر التلف الذى لحق بها فى حادث انقلاب الأومنيبس بشارع «جوور» فى أول أيام صباى وأسعدها . وهنا على البطانة بقعة من أثر انفجار زجاجة كان بها مشروب من المشروبات الكحولية . لقد حدث ذلك فى « ليامنجتن » ، وهنا على القفـل تجد الحروف الأولى من اسمى . لقد نسيت أننى فى نوبة من نوبات البذخ كنت قد أوصيت بنقشها هناك . الحقيبة بلا شك حقيبتى . لكم يسعدنى أن ترد الى على غير انتظار منى لذلك . لقد كان يضايقنى بقائى كل تلك السنوات بدونها .

جاك : (فى صوت مؤثر) مس پرزم ، ولقد رد اليك ماهو أعظم من حقيبة اليد . لقد كنت أنا الطفل الذى وضعته فيها .

مس پرزم : (فى دهشة) أنت ؟

جاك : (معانقا اياها) نعم ... يا أمى .

مس پرزم : (مرتدة فى دهشة غاضبة) مستر ورذنج ، انى لم أتزوج !

جاك : لم تتزوجى ! أنا لا أنكر أنها ضربة شديدة . ولكن على أية حال ، من ذا الذى يحق له أن يرمى بحجر مخطئا قاسى وتعذب ؛ أولا يستطيع الندم أن يغسل آثار فعلة طائشة ؛ لماذا يكون للرجال قانون ، وللنساء قانون آخر ؟ أماه ، انى أغفر لك .

(يحاول معانقتها ثانية)

مس پرزم : (يشد بها الغضب) مستر ورذنج ، هناك بعض الخطأ (مشيرة الى ليدى براكنل)هاهى ذى السيدة الفاضلة التى تستطيع أن تخبرك من تكون فى حقيقة الأمر .

چاك : (بعد فترة من الصمت) ليدى براكنل ، انى لأكره أن أكون محققا شديد الفضول ، هل لك فى أن تتكرمى باخبارى من أنا ؟

ليدى براكنل: انى لأخشى أن الأنباء التى تحصلنى على الافضاء بها اليك قد لا تسرك تماما . انك ابن أختى المسكينة مسز مونكريف ، وبالتالى فانك الأخ الأكبر لألچيرنن .

چاك : الأخ الأكبر لآلچى ! اذن فقد أصبح لى أخ آخر الأمر . كنت أحس أن لى أخا ! كنت أقول دائما ان لى أخا ! سيسيلى ، — أنى كان لك أن تشكى يوما من الأيام أن لى أخا !

(يمسك بلابيب ألچيرنن)

دكتور تشوزيبل ، هذا هو أخى المنكود الحظ مس پرزم ، هذا هو أخى المنكود الحظ جويندولين ، هذا هو أخى المنكود الحظ آلچى أيها الوغد الصغير ، ان عليك أن تكون أكثر احتراما لى فى المستقبل . انك لم تعاملنى معاملة الأخ لأخيه يوما واحدا فى كل حياتك .

الچيرنن : أقر بأننى لم أفعل ذلك حقا قبل اليوم أيهـــا الصديق القديم . ومع ذلك فقـــد بذلت غاية جهدى على الرغم من عدم خبرتى .

(يصافحه)

جويندولين : (الى چاك) يا حبيبى ! .. ولكن أى حبيب أنت؟ ما اسمك الآن وقد تبين أنك شخص آخر ؟

چاك : أيتها السماوات الرحيمـــة ! ... كنت قد نسيت تماما تلك المسألة . ان قرارك الذى اتخذته فى موضوع اسمى لا سبيل الى تغييره فيما أظن ؟

جويندولين : أنا لا يتغير فى شىء البتة ، الا عواطفى .

سيسيلى : أية طبيعة نبيلة هى طبيعتك يا جويندولين !

چاك : اذن فالأحرى أن توضح المسألة على الفـور . أيتها الخالة أوجستا ، لحظة . عندما تركتنى مس برزم فى حقيبة اليد ، أكنت قـد سبق لى أن عمدت ؟

ليدى براكنل: كل ما يمكن شراؤه بالمال من الكماليات المترفة بما فيها التعميـد ، كان يفـدقه عليك والدك المجنونان بحبك .

چاك : اذن فلقد عمدت ! وحسم الأمر . والآن فبأى اسم من الأسماء سميت ؟ هات شر ما عندك .

ليدى براكنل: بصفتك الابن الأكبر ، فقد عمدت باسم أبيك .

چاك : (بحدة) نعم ، ولكن ماذا كان اسم أبى ؟

ليدى براكنل: (بتروٍ وتأمل) لا أتذكر فى هذه اللحظة ، ماذا كان الاسم الأول لأبيك الجنرال . ولكن ليس عندى أى شك فى أنه كان مسمى باسم ما . أقرر أنه كان غريب الأطـوار . ولكن ذلك كان فى سنواته الأخيرة . كان ذلك من جراء جو الهند ، والزواج ، وسوء الهضم ، وما شاكل ذلك .

چاك : آلچى ! أولا تستطيع أن تتذكر أنت ماذا كان اسم أبينا ؟

الچيرنن : يا فتاى العزيز ، لم يكن بيننـا علاقة كلام على الاطلاق . فلقد مات قبل أن أتم العام الأول من عمرى .

چاك : لا بد وأن أسمه مدرج فى قوائم الجيش لذلك الحين فيما أعتقد أيتها الخالة أوجستا ؟

ليدى براكنل: لقد كان الجنرال بصميم طبيعته رجلا مسالما الا فى حياته الزوجية . ولكن ما من شك عندى فى أن اسمه لا بد أن يكون مسجلا فى دليل مطبوع ضمن المطبوعات العسكرية .

چاك : ان قوائم الجيش عن الأربعين سنة الأخيرة موجودة لدى . هذه السجلات الشائعة كان يجب أن تكون شغلى الشاغل .

(يندفع نحو رف الكتب ، ويستخرج كتبا يأخذ فى فضها)

السادة الجنرالات ... «مالام» ، «ماكسبوهم» ، « ما جليى » ، أية أسماء منكرة هى أسماؤهم — « ماركبى » ، « مجزبى » ، « مبز » ، « مونكريف » ! لفتنانت عام ١٨٤٠ ، كابتن ، لفتنانت كولونيل ، كولونيل ، چنرال ١٨٦٩ ، وأسماؤهم الأولى ، « ايرنست چون » .

(يضع الكتاب جانبا فى منتهى الهدوء ، ويتكلم بكل السكينة) كنت دائما أقول لك يا جويندولين ان اسمى هو « ايرنست » ، أو لم

افعل ذلك ؟ حسن ، فلقد ظهر آخر
بالفعل « ايرنست » ، أقصد أنه بطبيعة
« ايرنست » .

ليدى براكنل : نعم ، انى أتذكر الآن أن الجنرال كان يدعو
« ايرنست » . ولقد كان لدى من الأسباب
ما يبرر كرهى لهذا الاسم .

جويندولين : ايرنست ! يا ايرنستى أنا ! كنت أحس من أول
الأمر انه لا يمكن أن يكون لك اسم آخر غير
« ايرنست » !

جاك : جويندولين ، انه لشىء فظيع أن يكتشف المرء
فجأة أنه طوال حياته لم يقل شيئا غير الصدق .
أو تستطيعين أن تغفرى لى ذلك ؟

جويندولين : أجل أستطيع . لأننى أشعر انك حتما سوف
تتغير .

جاك : يا حبيبتى الوحيدة !

تشوزيبل : (مخاطبا مس برزم) ليتيتيا ! (يعانقها)

مس برزم : (فى حماسة بالغة) فريدريك ! أخيرا !

الجيرنن : سيسيلى ! (يعانقها) . أخيرا !

چاك : جويبدولين ! (يعانقها) أخيرا !

ليدى براكنل: يا ابن أختى ، انك تبدو لى وكأنمـا قد بدأت تظهر عليك أعراض الفتى العابث .

چاك : على العكس يا خالتى أوجستا ، بل انى الآن قد أدركت لأول مرة فى حياتى الأهمية الحيوية فى أن يكون الانسان جادا ، « ايرنست »

ستار ختام المسرحية